الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أحمد دراية أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ التخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

الرقم التسلسلي: الرمز:

مواقف العلماء الموريتانيين من الإستعمار الفرنسي 1903-1960م

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في: تاريخ المغرب العربي المعاصر

مواقف العلماء الموريتانيين من الإستعمار الفرنسي 1903-1960م

إعداد الطالبتين: إشراف الدكتور:

فاطمة رقادي أحمد بوسعيد

يمينة العبادي

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الكريم بلبالي	أستاذ محاضر. أ	أحمد دراية أدرار	رئيسا1
أحمد بوسعيد	أستاذ محاضر. ب	أحمد دراية أدرار	مشرفا ومقررا
الصافي ختير	أستاذ مساعد. أ	أحمد دراية أدرار	مناقشا

تاريخ المناقشة: الثلاثاء 18جوان 2019م على الساعة 12:00

السنة الجامعية:1439-1440هـ/2018-2019م

الدورة:جوان 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

سورة فاطر: الآية 28

شكر وعرفان

الشّكر قيد النعم... وليس أحق بالشكر من الله تعالى,الذي بلطفه وحوله ماكان لنا أننكتب حرفا, ولا نخط كلمة.كما قال الشاعر:

لولاه ما خطّت يمني صفحة ولما استوى قلمي وأرسل ناطقي

والشّكر بعد هذا وإن لم يوفِّه لا القلم ولا اللسان حقه, والذي كان فضله وعطاؤه كريما,

أستاذناأحمد بوسعيد فلا نملك أن نقول إلّا كما قال الشاعر:

إلى الذي أسدى الجميل تفضلا -*- أستاذنا أكرم به من حاذق

من كان ناصحا وموجّها -*- حتّى استقامت من بعد ذلك أوراق

كما نتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة قسم العلوم الإنسانية بجامعة أدرار.

كما نتوجه بالشكر إلى الدكتور الحمدي أحمد والدكتور محمد الأمين بموريتانيا والأستاذ جلال من معسكر والأخ عبد الله رزوقي اللذين أعانون و كانوا سندا في إنجاح هذا العمل .

وفي الأخير نتقدم بالشكر والعرفان والتقدير إلى كل من تذكرنا بكلمة طيبة أودعاء خفي, ولا نملك أن نقول إلا كما قال خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام:"إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب".

إهـــداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع:

إلى نبع الحنان والجود والعطاء والدي الكريمان.....عرفاناً

وإلى أبناء أختاي وروحي.....محبة

وإلى قرة عيني وسندي وعوني في الحياة (عائشة).....أخوة حنانا وشوقا

وإلى إنسان تحمل مني الكثير وصبر علي أكثر(رزوقي).....شكرا ووعدا وعهدا

وإلى إخوة قلبي و أصدقاء صدق وزملاء دربي.....مودة

وإلى أساتذة سقوني من نبع العلم حتى استقامت أفكاري.....وفاء

وإلى أسرتي التي كانت شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.....وصالا

إلى من جف حبر قلمي عن ذكرهم.....ولم يضق قلبي عن حملهم

فاطمة

إهداء

الحمد لله أن أمطر عليا من وابل فضله فيسر لي السبيل ووفقني.

أهديثمرة نجاحي إليك يا مصدر أدبي وثقافتي وعلومي, إليك أيتها الحبيبة أمي الغالية التي أدعو الله أن يبقيها ذخرا لنا ولا يحرمنا من حبها وحنانها وأن يعمها بلطفه دائما وأبدا.

إلى سندي في الحياة لرمز العطاء,إلى من علمني كيف ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبر وكان قدوتي, إلى أعظم من عندي في الوجود أبي العزيز حفظه الله ورعاه.

الى من كان شعارهم لي دائما السعي الى الأعلى, إلى الأكثر إلى الأمام، وحبهم يسري في عروقي أخواتي وإخوتي.

إلى من اختاروا أن يكونوا شمعة مضيئة لي تنير دربي فكانوا لي السند القوي في مكارم الأخلاق مبروكة ورحمة.

إلى من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر إلى من صاغوا من فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم و النجاح "أساتذتي الكرام."

الى كل قلب ينبض بحب العلم.

عينة

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
هـ	هجرية
م	ميلادية
ج	جزء
مج	مجلد
ط	الطبعة
د.ط	دون طبعة
د.س.ن	دون سنة نشر
د.م	دون مكان
تح	تحقيق
تق	تقديم
ت	تاريخ الوفاة
تر	ترجمة
ع	العدد
إ.ش	إشراف

المقدمة

المقدمة

عرفت موريتانيا خلال القرن 20م نازلة استعمارية تمثلت في دخول فرنسا إلى المنطقة ومحاولة السيطرة عليها بمختلف الأساليب، لكن المجتمع الموريتاني عندما حلَّ عليه الاستعمار الفرنسي انقسم بين مؤيدين لبقاء هذا المحتل في أراضيهم لكي يساعدهم في إصلاح الأوضاع السياسية في المنطقة والمتمثلة في حالة السيبة التي أثقلت كاهل المجتمع بالحروب والفتن، الأمر الذي جعل بعض علماء المنطقة يركنون إلى فرنسا ظناً منهم بأنها جاءت للقضاء على ظاهرة اللصوصية والفساد في المنطقة، إلا أن فئة أخرى من علماء موريتانيا رفضت كل ماله صلة بهؤلاء النصارى، واعتبرتهم غزاة جاؤوا إلى أرض مسلمة يريدون تدنيس معالم الإسلام واللغة العربية فيها، لذا وجب محاربتهم والتصدي لهم، في حين رأت فئة أخرى من العلماء أنه وجب الهجرة من أرض سيطر عليها النصارى، وقد تحفظوا من المستعمر الفرنسي ونددوا بالهجرة إلى الأقطار المجاورة لهم.

التعريف بموضوع البحث:

تعتبر بلاد موريتانيا من بين أهم الدول العربية التي شهدت موجة تعريب والتي أدت هي الأخرى بدورها الى نشر الإسلام في هذه الأصقاع؛ خاصة مع مجيء الهجرات العربية إلى هذه المنطقة والذين كان لهم الدور البارز في جعل موريتانيا منطقة إسلامية محصنة من كل ما قد يلوث صفاء هذا الدين بفضل تعمّق الدين الإسلامي واللغة العربية هناك، وقد كان لموريتانيا كما لغيرها من الدول العربية الإسلامية مشايخها وعلماؤها الذين كانوا على مستوى عال من التدين والورع الشيء الذي دفعهم إلى مواجهة الاستعمار الفرنسي عندما اجتاح المنطقة منذ سنة 1903م الى غاية 1960م، وقد انقسم هؤلاء العلماء في موقفهم من الاحتلال إلى شطرين متباينين ضمن حلقة جدلية: فمنهم من قبل بدخول الاستعمار الفرنسي لموريتانيا ورأى أنه خادم لها، ومنهم من رفضوا دخول فرنسا الى أراضيهم لذلك وقع اختيارنا على موضوع:"مواقف العلماء الموريتانيين من الاستعمار الفرنسي 1903م/1960م "لاستقراء وتحليل تلك المواقف.

الإطار الزمني للموضوع:

الإطار الزمني الذي تم تحديده لدراسة هذا الموضوع والمتمثل في مواقف العلماء الموريتانيين من دخول الاستعمار الفرنسي، والذي يمكن حصره في الفترة الممتدة بين 1903م إلى1960م والذي يمثل الفترة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا، وقد تميز هذا التاريخ بنشوب خلاف بين أطراف المجتمع الموريتاني بما فيه طبقة العلماء التي تعتبر طبقة أهل الحل والعقد في المنطقة.

المقدمة

دوافع اختيار الموضوع:

تمثل سبب اختيارنا لموضوع مواقف العلماء الموريتانيين من الاستعمار الفرنسي 1903م الى 1960م في دوافع موضوعية وأخرى ذاتية نذكر منها:

- المساهمة في تبيان وإبراز المكانة التاريخية لموريتانيا ضمن إطارها الجغرافي الذي تتربع عليه ويحيط بها.
- إبراز الدور الثقافي الذي لعبته موريتانيا في زمن الحقبة الاستعمارية وكيف استطاعت الصمود في وجهه.
- قلة تداول التاريخ الموريتاني في ميدان دراستنا بالجامعة جعلنا نسعى إلى الغوص في دراسة هذا الموضوع ونفض الغبار عنه لنبين لكل باحث بصفة عامة أهمية التاريخ الموريتاني لأنه تاريخ قد طمر بين ثنايا الوثائق، وقليلون هم الذين درسوه.
- بالإضافة إلى سبب ذاتي وقد تمثل في أنه عندما درسنا مقياس تاريخ موريتانيا شعرنا بميول كبيرة ورغبة في دراسة جانب من هذا التاريخ، إلى جانب توجيهات الأستاذ لنا حول هذا الموضوع لنشر أكبر قدر ممكن من المعلومات حول تاريخ موريتانيا.

أهمية الدراسة:

إن المتتبع للمحطات التاريخية التي لها علاقة بموقف العلماء الموريتانيين من السياسة الاستعمارية يلاحظ قلة الدراسات في منطقتنا –أدرار– ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، والتي تكمن في كونها مرجعاً جديداً للبحث العلميّ؛ يساهم في رسم معالم تاريخ موريتانيا المعاصر وتقديم منجز تاريخي لعلماء تمرسوا في الرد على الاحتلال الفرنسي في تلك الفترة ومزجه بالوعي بمعالم الشخصية التاريخية التراثية لمنطقة موريتانيا.

أهداف الدراسة:

كما هو معروف إن لكل دراسة أهدافاً، وهكذا هو حال دراستنا التي شملت مجموعة من الأهداف نذكر منها بعض النقاط التالية:

- معرفة الخلفيات التاريخية المتعلقة بالفترة الاستعمارية لموريتانيا التي تناولتها الدراسة.
- إثراء مكتبتنا ببعض المعلومات حول التاريخ الموريتاني المعاصر.

- تسليط الضوء على أهم الشخصيات الموريتانية التي كان لها دور بارز في مواجهة الاستعمار الفرنسي، خاصة العلماء والمشايخ الذينأصدروا الكثير من الفتاوى التي تدافع عن وطنهم وتسهم في رسم قاعدته السياسية في خضم السيطرة الاستعمارية.
- التعريف بالمحضرة كونها الجهاز الثقافي لموريتانيا، والتي استطاع المشايخ من خلالها مواجهة الأفكار الفرنسية التي حاول المستعمر نشرها في صفوف الطلبة الموريتانيين، كونهم الجيل الذي تعتمد عليه موريتانيا في بناء صرحها الثقافي والاجتماعي، لذا حاولت فرنسا تشويه أفكارهم الإسلامية وإبعادهم عن روح مجتمعهم الثقافية المحلية .

إشكالية البحث:

إن الصبغة الدينية التي تميز بها الشعب الموريتاني عامة والروحانية الإيمانية التي تمتع بها العلماء في موريتانيا خاصة، ستقف أمام جدل صعب حول مصير بلادهم وأهلهم وذلك فيما يتعلق بموقفهم من نازلة الاستعمار الفرنسي على أراضيهم، وتتفرع من هذه الإشكالية عدة تساؤلات جانبية منها:

- ما هي الإستراتيجية التي اتبعتها فرنسا من أجل التسلل داخل الأراضي الموريتانية؟
- وما المقصود بالنازلة أو النوازل؟ ومن هم العلماء المؤيدون والعلماء المناهضون لدخول الاحتلال الفرنسي لبلادهم. وما حجتهم في ذلك؟

وبما أن العلماء المؤيدين وكذا الرافضين جمعتهم المحضرة فقد كانت هي المكان الذي احتضنهم ومن خلالها ردوا على المستعمر، وانطلاقاً مما ذكرنا نطرح السؤال التالي:

- ما المقصود بالمحضرة وكيف نشأت داخل موريتانيا؟ وما هي الإستراتيجية التي انتهجتها فرنسا من أجل القضاء على الثقافة الإسلامية الموريتانية وما مدى استجابة السكان لها؟
- ما هو الدور الذي لعبته المحضرة للوقوف ضد السياسة التعليمية الفرنسية؟

منهج الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع وتجسيده في هذا البحث العلمي كان لزاما علينا إتباع المنهج التاريخي بأدواته (الإستردادي، التحليلي) القائم على استرجاع الأحداث وسردها وذكر وقائعها بشكل دقيق ومفصل لتوضيح نازلة الاستعمار الفرنسي على موريتانيا وردود أفعال علمائها حولها.

خطة البحث:

وحتى ندرس هذا الموضوع بطريقة منهجية اتبعنا خطة تتكون من ثلاثة فصول، ينضوي تحت كل فصل مبحثان بالإضافة الى مقدمة وخاتمة وملاحق وفهارس.

حيث خصصنا **الفصل الأول** لدراسة الأطماع الفرنسية في موريتانيا، وقد قسمناه الى مبحثين: المبحث الأول كان عبارة عن لمحة حول موريتانيا وذلك محاولة منا إعطاء لمحة بسيطة عن الموقع الجغرافي والفلكي لموريتانيا مع الأسماء التاريخية التي عرفتها عبر الأزمنة، ثم تحدثنا في المبحث الثاني عن بداية التوغل الفرنسي في موريتانيا، وهذا انطلاقا من خلفيات الاحتلال الفرنسي للمنطقة وصولا الى مشروع كوبولاني واحتلال موريتانيا. أما **الفصل الثاني** فخصصناه لدراسة نازلة الاستعمار وموقف بعض العلماء الموريتانيين منها، فقد عرَّفنا النازلة أو النوازل، وقد قسم هو الآخر بدوره الى مبحثين وهما: المبحث الأول خصصناه للتعريف ببعض العلماء المؤيدين لدخول الاستعمار الفرنسي في بلدهم وهما كل من الشيخ سيدي بابا والشيخ سعد ابيه وذلك من خلال ذكر مولدهم ونسبهم ونشأتهم العلمية وكذا موقفهم من الاستعمار الفرنسي وحججهم في ذلك. والمبحث الثاني درسنا فيه القطبين المعارضين أو المناهضين لدخول الاحتلال الفرنسي لموريتانيا وهما: الشيخ ماء العينين وحماه الله من حيث مولدهم ونسبهم ونشأتهم العلمية، وصولا إلى موقفهم من الاستعمار الفرنسي الذي سيطر على أرض موريتانيا، في حين خصصنا **الفصل الثالث** لدراسة المحاضر ودورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي، بحيث تضمن هو الآخر مبحثين؛ تطرقنا في المبحث الأول إلى المحضرة قبيل دخول المستعمر الفرنسي وهذا من خلال التعريف بالمحضرة ونشأتها ثم التعريف بلفظ الشيخ وتبيين دوره في المحضرة، في حين تناولنا في المبحث الثاني المحاضر بين التمسك بالثقافة المحلية ومواجهة الأفكار الفرنسية، وقد تحدثنا فيه عن السياسة الاستعمارية التعليمية في موريتانيا، ودور المحاضر في مواجهة هذه الثقافة الفرنسية .

الدراسات السابقة:

ظهرت دراسات تاريخية حول تاريخ موريتانيا المعاصر، تمثلت في كتابات بعض المؤرخين، إلا أنها لم تتطرق بشكل واسع لصلب الموضوع الذي هو موقف بعض العلماء الموريتانيين من الاستعمار الفرنسي، ما عدا بعض البحوث الأكادمية الجامعية والتي من أهمها: الطرق الصوفية

وموقفها من الاستعمار الفرنسي للطالب: المختار ولد مُحَّد، وأيضا مذكرة الطريقة القادرية وموقفها من الاستعمار الفرنسي في موريتانيا للطالب:علي بذوي علي سليمان.

المصادر والمراجع:

بما أن موضوعنا يعتمد على أهم الفتاوى المخطوطة لهؤلاء العلماء، فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على ثلاث نسخ للمخطوط، الذي فيه نص السؤل الذي طرحه كوبولاني على الشيخ سيديا،وقد كتبه هذا الأخير وهو مصدر يتضمن معلومات حول الرد الذي كتبه الشيخ سيديا بابا كجواب لكوبولاني على عدم محاربة فرنسا مالم تكن محاربة لهم بل جاءت لتعينهم على إصلاح بلادهم، بالإضافة إلى مخطوط آخر للشيخ سيديا بابا وهو عبارة عن رسالة وجهها هذا الشيخ إلى القبائل الموريتانيا، وقد احتوت على بعض المعلومات التي أوردها الشيخ عن الحالة التي كانت تعاني منها موريتانيا بسبب السيبة، ورغبته في القبول بفرنسا الدولة المصلحة القوية باعتبار البلاد تعاني من فراغ سياسي وجب البحث عن حاكم لينظم البلاد حتى ولو كان كافراً.

كما اعتمدنا أيضاً في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع، فمن المصادر التاريخية المطبوعة التي اعتمدنا عليها في نقل بعض الحقائق الخاصة بالموضوع، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- رائد أفريجان: موريتانيا 1903م-1911م قصص ومغامرات وجولات وحروب في بلاد البيضان تعليق جنفييف ديزيري فييمن تحدث فيها عن الفترة التي عاشها في موريتانيا وأهم الأحداث التي جرت أنذاك.
- المختار ولد حامد حياة موريتانيا -الجغرفيا- شمل تعريف السكان أصولاً وفروعاً، ثم تناول أقسام البلاد الطبيعية.

أما المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث فهي متنوعة ومن أهمها نذكر:

- إطلالة على موريتانيا لمحمد بن ناصر العبودي وهو يتضمن معلومات حول الموقع الجغرافيا لموريتانيا وأصل تسميتها والمحاضر، إضافة إلي الجانب الثقافي والاجتماعي.
- مُحَّد الراضي بن صدفن: السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا وأثارها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (1900-1969)، حيث احتوى على معلومات جدّ قيمة حول

موريتانيا بداية من موقعها الجغرافي إلي غاية الاستقلال بحيث أمدنا بالمعطيات الضرورية حول موريتانيا، رغم عدم ذكره لمواقف العلماء الموريتانيين.

الصعوبات:

وكما هو معروف فإنه لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعراقيل التي تقف في طريق الباحث وهكذا هو حالنا نحن فقد واجهتنا في طريق إنجازنا لهذا البحث مجموعة من الصعوبات تتعلق معظمها بالمادة العلمية. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- قلة المصادر التي تناولت موضوعنا بالدراسة وصعوبة الوصول إليها مما جعلنا نستغرق جهداً ووقتاً كبيرين للحصول على بعضها.
- باعتبار موضوعنا يعتمد على المخطوطات التي تتعلق بفتاوى هؤلاء العلماء،كان من الصعب الوصول إليها نظرا لبعد المسافة وخصوصية هذه المخطوطات بالنسبة لأصحابها.

ولكن رغم ذلك بذلنا ما في وسعنا لجمع أطراف الموضوع وحاولنا الخروج بدراسة تعطي صورة كافية شيئاً ما حول الموضوع.

وفي الختام انهينا بحثنا هذا بمجموعة من النتائج العامة، التي تحصلنا عليها من خلال دراستنا لمراحل البحث المختلفة، بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق والفهارس.

الفصل الأول

الأطماع الفرنسية

في موريتانيا

تتبّوأ موريتانيا موقعاً جغرافياً وطبيعياً هاماً،الشيء الذي جعلها تكون محط أنظار العديد من الدول الأجنبية التي حاولت بناء علاقات مع زعماء القبائل الموريتانية، وكان البرتغاليون في القرن الخامس عشر ميلادي من الدول السابقة التي أغرتها ما تحتويه موريتانيا من الصمغ العربي والذهب وكذا تجارة الرقيق التي تعتبر تجارة رائجة حينئذ.

تفطنت الدول الأوروبية الأخرى مثل هولندا واسبانيا إلى أهمية هذه المنطقة فسارعوا إلىأخذ نصيبهم من خيراتها، ثم التحقت بهم فرنسا لتنفرد بها في القرن العشرين بعد ما اتخذت أنجع الطرق لإحكام القبضة عليها.

المبحث الأول: لمحة عن موريتانيا

1. الموقع الجغرافي والطبيعي لموريتانيا

عرفت موريتانيا موقعاً جغرافياً وطبيعياً مختلفاًبعض الشيء عن المناطق المحيطة بها والمجاورة لها، وهذا الاختلاف جعل منها إحدى الدول الإفريقية الهامة؛ لذا نجدها تتربع على مجال جغرافي شاسع ومتنوع من حيث التضاريس كما أنها تطل على الساحل الأطلنطي، ما أكسبها أهمية داخل القارة الإفريقية وخارجها فهي بذلك كانت ممرا للقوافل التجارية القادمة من مختلف دول العالم.

تقع موريتانيا في غرب إفريقيا يحدها من الغرب المحيط الأطلسي ومن الشمال الصحراء الغربية ومن الشمال الشرقي الجزائر ومن الشرق ماليوالمغرب ويحدها من الجنوب مالي والسنغال[1] بين دائرتي عرض (14°و30°) شمال خط الاستواء.

وهي تضم دائرة مدار السرطانوبين خطي طول(5°و17°)غرب خط اغرينيتش، وتقدر مساحة هذه البلاد ب:1085805كلم^{2}بصفة تقديرية[2].

والكلام عن جغرافية موريتانيا أو ما يسمى شنقيط قبل الوجود الاستعماري هو الحديث عن بلاد تم إلحاقُ بها ماجاورَهَا من المدن التي تتربع عليها مساحة موريتانيا الحالية، وبهذا تنقسم بلاد

---

[1] جوزيف صقر: قصة وتاريخ الحضارات العربية (23-24) بين الأمس واليوم(القبائل العربية-موريتانيا-جيبوتي،الصومال)، eiditee crebs international, begrouth،1999- 1998م، ص159.

[2] مُحَمَّد الراظي بن صدفن: السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا وآثارها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (1900-1969)، المطبعة الوطنية، بيروت، 1401هـ/1981م، ص14.

شنقيط إلى قسمين: أظهر: وفيه شنقيط الأصلية، والباطن: وفيه أطارإحدى مدن شنقيط المشهورة وباقي الأقسامتحيط بآدرار من جهاته الأربع[1].

وكما أسلفنا الذكر أن موريتانيا تحتوي على تضاريس متنوعة من منطقة إلى أخرى، كما أن لها مناخا ذا طابع صحراوي أكسبها موقعاً جغرافياً وطبيعياً هاماً، فتمثل أعلى نقطة جبلية فيها ما يسمى ب: كيديت ادجيل 915م، في حين ينقسم سطح موريتانيا إلى قسمين واضحين: السواحل، الهضاب،بالإضافة إلى السهول والواحات والأنهار.

بحيث تمتاز بمناخها الحار والجاف الذي تتراوح درجة حرارته صيفا مابين (27° و 42°) في حين تصل درجته في الشتاء ما بين (12° و28°%)، ونلاحظ أن كمية الأمطار في موريتانيا تختلف من الشمال إلى الجنوب، فتصل كمية الأمطار شمالا في نواقشط إلى 100 ملم/سنة، بينما في جنوبها تصل إلى 500ملم/سنة، وتتساقط الأمطار فيها مابين شهري ماي وأكتوبر[2].

أما المجال الطبيعي لهذه البلاد فهو ينقسم إلى منطقتين لكل واحدة منها خصائصها الطبيعية التي تميزها عن الأخرى وهما:

أ–منطقة سهلية زراعية: وتقع في الجنوب وهي ليس لها اسم عام بل لكل منطقة أو ناحية من أجزائها الطبيعية اسم محلي مثل: الكبلة، أفطوط وغيرها من النواحي الأخرى، وتمتاز هذه المنطقة بتساقط الأمطار الموسمية مما اكسبها طابعا رعويا كاف لتربية المواشي، بالإضافة إلى ازدهار النشاط الزراعي، مما يجعل أكبر عدد من السكان يتمركزون فيها.

ب– المنطقة الصحراوية الجبلية:تقع في الشمال حيث تتواجد بها بعض الواحات الهامة مثل: واحات آدرار وتكانت وغيرها من الواحات الأخرى [3].

ونجد أنها لا تملك سوى شريط زراعي ضيق على نهر السينغال[4] وكثبانها الرملية متحركة في بعض المناطق وثابتة في مناطق أخرى، أما السهول في موريتانيا عبارة عن طبقات بعضها فوق

---

[1] أحمد الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط،ط4، مطبعة المدني، مصر، 1409هـ/1989م، ص427.

[2] الهادي قطش: أطلس الجزائر والعالم طبيعيا–بشريا–اقتصاديا–سياسيا، ط.ج.م.م.ن،دار الهدى،عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص111.

[3] المختار ولد حامد: حياة موريتانيا –الجغرافيا–، (د–ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ–1994م، ص10.

[4] حسان حلاق: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2000م، ص436.

بعض، فالطبقة الأولى غليظة وذات كثبان متحركة أو ثابتة حسب طبيعة النبات،وهي تختلف من الشمال إلى الجنوب فبالنسبة لهذه الأخيرة تكون الكثبان الرملية ساكنة لوجود الأشجار أما في الشمال فتكون متحركة وذلك بسبب قلة الأشجار وأيضا لهبوب الرياح القادمة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مثل: أزفاف وأكشار[1].

فإلى جانب السهول والواحات والأنهار تتواجد بموريتانيا مناطق ساحلية وأخرى هضابية تمتازالسواحل الموريتانية عموما باستقامتها وقلة تعاريجها مما يجعلها غير صالحة للملاحة، وفي هذه السواحل خليجان يمكن إنشاء فيهما موانئ كخليج (ليفربيه) وخليج (الداخلة) ويمتاز الساحل الغربي بأنه مجدب وفقير، في حين تتألف باقي مناطق موريتانيا من هضبة بها صخور يعود تاريخها إلى ما قبل الزمن الكرمبي والعصر الجيولوجي الأول وتتوزع فوق هذه الهضبة تلال[2].

وعليه فإن موريتانيا أرضٌ صحراوية لها خصائصها التي تميزها عن باقي أقطار المغرب العربي وهذا كونها تتربع على مساحة شاسعة وموقع جغرافي وطبيعي أكسبها مكانة خاصة بين شقيقاتها من الدول العربية، فنجدها على سبيل المثال لا للحصر تحتوي على مناطق صحراوية شمالية قليلة الثروة الزراعية، عكس مناطقها الجنوبية ذات الثروة المزدهرة وهذا طابعٌ انفردت به موريتانيا عن غيرها من الدول الأخرى.

2-أصل تسمية موريتانيا:

عرفت الرقعة المسماة بموريتانيا اليوم عدة تسميات سبقت هذا الاسم، فقد كانت تشمل مناطق تتقلص مساحتها وتتسع لتتجاوز الحدود التي تتربع عليها موريتانيا الآن، وهذا عبر العصور التاريخية، ولعل من أشهر الأسماء التي عرفت بها هذه المنطقة: صحراء الملثمين، بلاد التكرور، بلاد شنقيط، وموريتانيا فيما بعد[3].

---

[1] محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق، ص15.

[2] الموسوعة العربية العالمية:ط2، المكتبة-ميونيخ،اتفاقية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م، ص397.

[3] الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،تونس، 1987م، ص18.

أ/صحراء الملثمين:يقول بن خلدون في تاريخه:"هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها . فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها . واعتصموا منها بألبان الأنعام ولحومها...فنزلوا من ريف الحبشة جوارا ، وصاروا مابين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا ، واتخذوا اللثام خطاما"[1].

ب/بلاد التكرور: أطلق هذا الاسم على المنطقة بحسب ما جاء في قول الطالب مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي من بارتيل المتوفي (1804م) في كتابه فتح الشكور في علماء بلاد التكرور: تمتد غرباً من نهر السينغال إلى آدغاغ شرقا، وشمالا من آدرار إلى النيجر جنوبا[2].

ج/شنقيط: هذا الاسم لم يشمل مناطق واسعة بل شمل مدينة واحدة في الأصل، وقد اشتق هذا الاسم من اللغة البربرية ومعناه (أبار الخيل) فهو بذلك ينقسم إلى شقين في أصله: (شين قدوا) وتعني شين: فرس، وقدوا: بئر أو أبار[3]، وترجع شهرتها إلى كثرة العلماء فيها والى كون سكانها كانوا يَفِدُونَ كل عام إلى البلاد المقدسة رفقة جمع غفير من الحجاج الذين كانوا يطلق عليهم اسم الركب الشنقيطي[4].

د/موريتانيا: هذا الاسم عبارة عن اصطلاح روماني وأصله أمازيغي والمشتق من كلمة اتمورتناغ: تمورتنا: وتعني أرضنا ولعل هذا الاسم جاء من قبائل المور المشهورة التي ناهضت الرومان والوندال وغيرهم من غزاة بلاد الأمازيغ القديمة [5].

بالإضافة إلى أسماء ونعوت أخرى أقل انتشاراً أمثال: بلاد السيبة؛ التي أطلقها العلماء الشناقطة على *بلادهم* وهي صفة تبين الحال التي كانت عليه البلاد في عهدهم، من فوضى

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون:تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، ج.6، دار الفكر، 2000، ص241

[2] المختار ولد حامد: المصدر السابق، ص ص8- 9.

[3] مُحَمَّد بن ناصر العبودي:إطلالة على موريتانيا، ط1، (د.ن)، (د.م)، 1417هـ-1997م، ص18.

[4] مُحَمَّد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني، (د-ت)، ص130.

[5] حماه الله ولد سالم: تاريخ بلاد شنكيط "موريتانيا" من العصور القديمة الى حرب شربة الكبرى بين أولاد الناصر ودولة ابدوكل، اللمتونيةدار الكتب العلمية، لبنان، (د-ت)، ص18.

وانقلابات على حكم السلطان والخروج عن طاعته. وكذلك سميت ببلاد البيظان؛ نسبة إلى العرب الشناقطة الذين يتحدثون باللهجة الحسانية. إضافة إلى بلاد المغافرة؛ التي تعد أحد بطون بني حسان العربية التي نزحت إلى بلاد شنقيط[1].

المبحث الثاني:التوغل الفرنسي في موريتانيا

1/خلفيات الاحتلال الفرنسي لموريتانيا: إن الراغب في معرفة تاريخ الاحتلال الفرنسي لموريتانيا لابد عليه من الرجوع إلى البدايات الأولى للوجود الفرنسي في منطقة غرب إفريقيا بصفة عامة، وحتى نتمكن من معرفة خلفيات هذا الاحتلال يجب أن نبحث في حيثيات الموضوع من جذوره لنصل إلى حقيقته، لهذا نجد أن وجود فرنسا في منطقة موريتانيا مرده إلى تلك الفترة التي بدأ فيها التكالب الأوروبي على القارة الإفريقية وبالذات في مراحل الكشوفات الجغرافية التي وصلت إلى هذه المنطقة عن طريق مجموعة من المغامرين والرحالة الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وكان ذلك في القرن (9هـ/15م)، فهذا التكالب الأوروبي جاء جراء الأطماع المتزايدة لهؤلاء على تجارة الرقيق والصمغ العربي وغيرها من المنتجات الأخرى، فاكتشافهم لهذه المواد جعلهم يبحرون إلى عالم مجهول لا يدركون عواقبه عليهم فعملت حكوماتهم بدفعهم وتشجيعهم على اكتشاف هذه المناطق التي ستدرُّ عليهم الربح الكثير من خلال حصولهم على ما فيها من خيرات.

وبدافع الحاجة إلى هذه المواد انطلق البحارة والمستكشفون يجوبون المحيط الأطلسي فاكتشفوا منذ القرن (9هـ/15م) الأراضي التي كانوا لا يعرفونها، وأقاموا بها مراكز تجارية موسمية ثم استقروا على سواحل موريتانيا وإفريقيا الغربية[2].

وتعتبر أول دولة أوروبية أوطنت أراضي موريتانيا هي البرتغال الذين وصلوا إليها في منتصف القرن 15م، حيث بدأوا يتعاملون مع البيضان هناك فيما يخص التجارة على المحيط الأطلسي فبدؤوا يتوغلون في الداخل حتى بلغوا منطقة آدرار فأنشأوا فيها مراكز تجارية وذلك بالقرب من

[1] الخليل النحوي:بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص18من هنا وهناك.

[2] الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993، ص86.

أطار وودان[1]، فبوصول البرتغاليين إلى موريتانيا وتشكيلهم علاقات تجارية مع السكان هناك سنة 1442م دشنوا ما يعرف بعصر النخاسة الجديد، ففي تلك الأثناء قاموا باختطاف بيضانيان حينما كانوا يتاجرون بالرقيق، وبهذا كان العرب أول ضحايا البرتغاليين[2].

وعندما أدرك الهولنديون وكذا الفرنسيون ما تجنيه البرتغال من المتاجرة مع البيضان سارعوا إلى إرسال بعثات كشفية نحو منطقة غرب إفريقيا، وبمجرد وصولهم أصبحوا ينشئون المراكز التجارية لتسهيل عملية التعامل مع السكان هناك، ففي سنة 1552م أمر الملك الفونسو الخامس ببناء قلعة في جزيرة أركين ولكن الهولنديين استولوا عليها سنة 1638م فعملوا على تحصينها بالخنادق العميقة والطرق والمعاقل المنفصلة ومع ذلك فقد أجبروا على تسليمها للإنجليز سنة 1645م ولكن استعادها الفرنسيون منهم في السنة الموالية[3].

وتورد بعض الدراسات أن اتصال فرنسا بغرب إفريقيا يرجع إلى القرن السابع عشر وما قبله حيث بدأت نشاطها الاستعماري هنالك بإقامة مراكز ومحطات تجارية وذلك للمتاجرة بالرقيق لاستخدامهم في الحرب، فكان أول مركز أنشأته في سان لوي بالسينغال الذي أصبح القاعدة التي ينطلقون منها نحو الداخل وذلك بحثا عن المعادن والعاج واقتناص العبيد وتصديرهم إلى أسواق أمريكا الشمالية[4].

وظل تجار مستعمرة سان لويس بالسينغال منذ 1659م حتى 1898م يواجهون سياسة الولاة العسكريين ويمنعونهم من التقدم شمالا[5]، فقد حدثت عدة صراعات بين فرنسا وإنكلترا حيث استمرت قرابة قرنيين وذلك من أجل السيطرة على (مستعمرة سان لويس) فهذه الأخيرة احتلتها إنكلترا سنة (1758م) لكن فرنسا استرجعتها بموجب معاهدة (1783م)، إلا أن

[1] غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17-1920، تح وتع: محمد المختار ولد بية،ط1، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، انواكشوط، د.ت، ص42

[2] الخليل النحوي:إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، المرجعالسابق، ص87.

[3] غاستون دوفور: المرجع السابق، ص42.

[4] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين ويليه الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وأسيا وجزر المحيطات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص41.

[5] حماه الله ولد السالم: جمهوري الرمال حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص27.

الإنكليز تمكنوا من احتلالها مرة أخربمما دفع إلى عقد معاهدةباريس التي وقعت بين الدولتين عام (1818م) بحيث استطاعت فرنسا أن تعيد سيطرتها على المنطقة[1].

وقد قامت شركة السينغال التابعة للفرنسيين بإرسال أحد موظفيها إلى هذه المنطقة وهو روبول (roubault)، من أجل كشف الصحراء التي تقع بين السينغال وغامبيا سنة1804م وقد قام جاسبار موليان بكشف مجرى نهر غامبيا عام 1818م[2].

جاء بعده المكتشف رينيه كاييه (rene caillé) وهو فرنسي قام بالتنكر في هيئة شحاذ وسافر من سيراليون sirraleone وصولا إلى غاية تيمبوكتوtimbuktu ومن هناك إلى المغرب (1827م/1828م)، وقد عبر الصحراء الكبرى بعد أن قاسى متاعب هائلة[3].

وعندما استتب الأمر لفرنسا في موريتانيا وذلك في القرن التاسع عشر عملت على تعزيز قوتها في الضفة اليسرى لنهر السينغال، حيث عبر الجنرال فيديرب* عن النوايا الحقيقية التي كانت فرنسا تخفيها آنذاك قائلا في جريدة المونيتور الرسمية: "سيرى العالم أجمع أن الحكومة الفرنسية مصممة العزم على المضي في خطتها التي سلكتها حيال الموريتانيين إلى حد أنها ستفقدهم كل بصيص من الأمل في التملص مما تفرضه عليهم فرضا عادلا"[4].

وبهذا يتفق جل المؤرخين أن فيدهرب أحد أقوى الحكام الفرنسيين الذين حققوا لفرنسا معظم أطماعها الاستعمارية في منطقة غرب إفريقيا فقد جاء تعيينه على السينغال كحاكم سنة 1854م وذلك بعد فترة الاضطرابات التي شهدتها المنطقة، فقد عملت فرنسا على اتباع سياسة المهادنة مع سكان المنطقة دون اللجوء إلى القوة لكن سرعان ما تنازلت فرنسا عن هذه السياسة

---

[1] إسماعيل احمد ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر قارة افريقية ، ج 2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1413هـ/1993م، ص228.

[2] زاهر رياض: استعمار افريقية، الدار القومية للطاعة والنشر، القاهرة، 1384هـ-1965، ص113.

[3] محمود فؤادإبراهيم و آخرون: المعرفة أكمل و أجمل موسوعة علمية بالألوان، ط4، مؤسسة الخليفة للطباعة، لبنان، 1984م، ص668.

* هو أول مسؤول فرنسي بالصحراء كان له حضور قوي منذ مدة طويلة، وهو الجنرال لويس فيديرب شرع في القيام بأعمال بحثية حول العرب والبربر في الصحراء. Mohamed Said Ould Hamody: Mauritanie (1445/1975) relations séculaires avec l'Europe , 5 mars 2003, p 18.

[4] قاسم الزهيري: مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية – الموريتانيا، تق: عبد الهادي التازي، دار الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1991م، ص40.

بمجيء فيدهرب الذي اتبع إستراتيجية خاصة في التعامل مع القوة الوطنية التي كانت في السلم أو الحرب[1].

وفي الثامن من نوفمبر1855م قام بتوزيع منشورين يخاطب فيهم أمير الترارزة مُحَمَّد الحبيب يوضح له أن الله جعل النهر حدا فاصلاً بين البيضان والسودان فوجب عليه أن يحترم حدود الله كما قال فيدهرب،وتمكن من إجبار أمراء الترارزة والبراكنة وادوعيش على التنازل عن سيادتهم على الضفة الجنوبية وتوقيعهم اتفاقيات يتم من خلالها تعيين كيفية التبادل التجاري وبهذا اعترافهم بسيادة فرنسا على الضفة الجنوبية[2].

أراد مُحَمَّد الحبيب إعادة العلاقات إلى طبيعتها الحسنة مع الفرنسيين فعمل على التفاوض معهم بالطرق السلمية فأرسل إلى فيدهرب شروطه والتي تمثلت فيما يلي:

- زيادة الضرائب السنوية التي تدفعها فرنسا للقبائل الموريتانية.
- هدم الحصون الفرنسية التي أقيمت على نهر السينغال.
- تعهد الفرنسيون بعدم إنشاء أية منشآت جديدة، وتعهدهم بدفع ضرائب جديدة في منطقة جات أندار المواجهة لسان لويس، كذلك في منطقة بوب نيكور pop Nikor مقابل تزويد الفرنسيون بالماء والأخشاب.

ولكن فيدهرب لم يقبل بهذه الشروط مما دفع بمحمد الحبيب لكي يواصل مواجهته له من 1855م إلى غاية 1857م، حتى تمكن فيدهرب من هزيمته على شاطئ كيور في 13 ماي 1857م وفي ديمار أيضا[3].وجراء هزيمة مُحَمَّد الحبيب وقّع أمير قبيلة آدوعيش معاهدة مع الفرنسيين في أول نوفمبر 1857م والتي من خلالها حدد فيدهرب مناطق بيع الصمغ، حيث احتكر من طرف الوكالات التجارية الفرنسية فقط وتلتها معاهدة أخرى مع أولاد علي[4].

---

[1] الهام مُحَمَّد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1408هـ-1988م، ص ص 83، 84.

[2] الحسين بن محنض: تاريخ موريتانيا الحديث، ط1، دار الفكر،موريتانيا،2010،ص267.

[3] الهام مُحَمَّد على ذهني: المرجع السابق، ص86.

[4] عفاف عباس: الاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903-1960، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، ا.ش: شهر زاد شلبي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قطب شتمة، جامعة مُحَمَّد خيضربسكرة، تخصص تاريخ معاصر،2014م/2015م، ص39.

وفي عام 1858م استطاع فيدهرب أن يرغم مُحَمَّد الحبيب على توقيع معاهدة تنازل هذا الأخير بموجبها عن الأقاليم التي كان يسيطر عليها والتي تقع جنوب نهر السينغال وبها فرض فيدهرب حمايته على كلّ من منطقة اوالوا وجوديول[1]،وفي أواخر الخمسينات أصبح فيدهرب يسعى إلى توسيع سياسته داخل موريتانيا، لذلك عمل على بعث مجموعة من المستكشفين وكلفهم بالذهاب إلى مختلف المناطق الموريتانية، وذلك حتى يتمكن من إقامة علاقات تجارية مهمة مع البيضان[2].

وقبل الحديث عن بعض الرحلات التي أرسلها فيدهرب في مختلف الأقاليم في موريتانيا يجب الإشارة إلى أن فيدهرب لم يتربع كحاكم في المنطقة بكل سهولة بل واجهته مجموعة من المقاومات من طرف بعض الزعماء هناك وعلى رأسهم الحاج عمر* هذا الأخير لم يكن يرغب في شن حملاته ضد الفرنسيين حتى يجمع مناصرين له، فأراد التعامل معهم بالود فطالبهم بتزويده بالسلاح إلا أنهم رفضوا ذلك كونهم رأوا فيه خصم قويا إذ ما زودوه بالسلاح لذا لجاؤا إلى إتباع المقولة الشهيرة عدو عدوي صديقي فتحالفوا مع ألذ أعدائه وهو سامبالا احد أفراد الأسرة الحاكمة في كاسو.

وأيضا بحث فيدهرب عن حليف يعينه ضد الحاج عمر في بوندوا المملكة التي تقع على طول *الشاطئ* الأيسر لنهر السينغال ووجد هذه الغاية في شخصية بوكار، ولكن كل هذه المؤامرات لم تنجح في كسرعزيمة عمر الذي باشر في مراسلة المسلمين في سان لويس يطالبهم بضرورة محاربة الوثنيين والمسيحيين،ولكن عندما أدرك فيدهرب قوة وإيمان الحاج عمر سارع إلى عقد معاهدة

[1] الهام مُحَمَّد على ذهني: المرجع السابق، ص87.

[2] علي بدويعليسالمان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا(1930-1960)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، ا ش.عبد الرزاق إبراهيم، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، التاريخ الحديث والمعاصر، 2003، ص36.

*اسمه الحاج عمر الفوتي التكروري ولد في تال بحلوار حوالي عام 1797م، جعله أتباع الطريقة التيجانية خليفة على السودان بعد عودته من لحج سنة 1820م. ينظر: مُحَمَّد الحافظ التيجاني: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، الزاوية التيجانية والدالى حسين المغربلين، مصر، (د.ت)، ص3

سلام معه من اجل التفاوض على مشروع الاعتراف بالحاج عمر كملك لكارتا مقابل أن يحد من نشاطه في المنطقة[1].

بالإضافة إلى تهديد مابا للفرنسيين على الساحل، الأمر الذي جعل فيدهرب يخشى من تحالف بين الحاج عمر ومابا وكذا القبائل الموريتانية الأخرى الذين شحذوا همم الشعب وحفزوهم على مقاومة الاستعمار الفرنسي، مما دفع فيدهرب إلى ضرورة القضاء على كل قوة من هؤلاء على حيدا حتى لا يمكنهم التعاون فيما بينهم ضد الفرنسيين فأول ما قام به هو مهاجمة القبائل الموريتانية لتأمين حدود المستعمرة الشمالية[2].

وكما ذكرنا سابقا أن "فيدهرب" عمل على توسيع سياسته في منطقة موريتانيا من خلال إرسال بعض البعثات الكشفية إلى مختلف المناطق هناك لكشف سواحلها حتى يتسنى لهم تسيير عمليات التجارة بشكل أسهل، فأوكل هذه المهمة للنقيب الهندسة fulerand والملازم البحري aubeبدراسة الجزيرة وما جاورها فتوصلوا خلال دراستهم لهذه المنطقةأنه يجب التخلي عن ارقين لصعوبة عبورها من طرف البواخر والسفن ذات الحمولة المتوسطة مع إنشاء منشآت جديدة في الرأس الأبيض[3].

في حين أرسل فيدهرب عام 1860م لامبير Lambert إلى فوتا جالون لجلب المعلومات الكافية حولها، لكن وزير المستعمرات لم يسمح لفيدهرب باتخاذ أي إجراءات في هذا الشأن حتى عام 1863م [4].

بالإضافة إلى رحلة فينسان Vincent التي اتجهت لاكتشاف السودان الغربي عام 1860م، وكلفهم فيدهرب بمهمة استكشاف آدرار فانطلق فينسان مع المترجم ومستشار قاضي سان لويس المسمى بو المقداد فتمكن بفضل هؤلاء الأدلاء والمعاهدة التي أبرمها فيدهرب مع أمير الترارزة أن يحصل على معلومات هامة عن أحياء قبيلة أولاد دليم وذلك أثناء زيارتهم لميناء بور

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998، ص71من هنا وهناك.

[2] الهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص85.

[3] محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق، ص45.

[4] الهام محمد علي ذهني: المرجع نفسه، ص120.

تنديك وأرغين، كما عرف بأن سبخة الجل تمد كل من آدرار وتكانت وتشيشت وولاته بمادة الملح[1].

لم تتوقف البعثات الكشفية مع فيدهرب بل وصل في دعمها الوالي العام بالسينغال الذي جاء بعد فيدهرب وهو بيني لاباد pinet-lapad (1865م-1869م) فقام هذا الأخير بإرسال بعثة لاستكشاف المياه في منطقة الرأس الأبيض سنة 1869م. صحيح أن هذه البعثة لم تقدم الشيء الجديد عن هذه المنطقة ولكن يرجح بأنها كان لها دور في تأسيس مؤسسة "مد العالمين"(mree de 2 mond (1877م-1882م) التي توجد في مارساي بفرنسا، وهي المؤسسة التي تعنى بنقل أسماك موريتانيا إلى فرنسا[2].

وما هو جدير بالذكر أن العمليات الكشفية لمنطقة غرب إفريقيا بصفة عامة وموريتانيا بصفة خاصة تواصلت إلى غاية مجيء منظِّر الحملة العسكرية الفرنسية كوبولاني الذي سيعتمد على بعض الرحلات السابقة لإتمام مشروع فرنسا التوسعي وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.

2- مشروع كوبولاني واحتلال موريتانيا:

تعد البعثات الاستكشافية التي شهدتها بلاد شنقيط منذ مطلع القرن السابع عشر دليلاً على مدى اهتمام الفرنسيين بهذه المنطقة فعلى الرغم مما تتعرض له من نهب وقتل أو وقوعهم في الأسر، هذا كله لم يبعث الملل في نفوسهم بل واصلوا القيام برحلات أخرى، وما شجعهم على ذلك ما أورده الرحالة في مؤلفاتهم على أنها منطقة ثمارية الأرض.

ولقد أفادت رحلة بلانشي1899م بتقريردرس فيه طبيعة المنطقة وثرائها وسكانها و أنشطتهم الاقتصادية الذي سيتزامن مع شروع فرنسا في الاستعداداللاستعمار الفعلي لبلاد شنقيط على يد مفوضها الاستعماري كوبولاني، ولقد سعى هذا الأخير من أجل التسلل إلى بلاد البيضان بطرق سليمة مروجا لفكرة التعامل بالتسامح مع المسلمين والعمل على كسب ود المشايخ الدينيّن[3].

[1] عفاف عباس: المرجع السابق، ص.ص45،46.

[2] مُحَمَّد الراظي بن صدفن: المرجع السابق،ص ص45-46.

[3] الحسين بن محنض: المصدر السابق،ص ص271-272.

1-نبذة عن حياة كوبولاني:قبل الحديث عن مشروع احتلال موريتانيا لابد علينا أن نعرِّف بصاحب الفكرة الذي عمل جاهدا بكل دهاء من أجل نجاح هذا المشروع ألا وهو الفرنسي اكزافيه كوبولاني:الذي ولد في الفاتح من فبراير1866م[1]ببلدةmarignanaالتي تنتمي إلى قريةcorse،وقد استقر مع غالبية أفراد أسرته بالجزائر[2]، منذ أن كان عمره 14سنة حيث تربى وتعلم اللغةالعربية واختلط بالعرب وآدابهم وشريعة الإسلام ونفعه في ذلك ميله إلى البحث والاطلاع حول الدول الإسلامية[3]،وعندما أنهى دراسته في الجزائر عمل بمقاطعتها الإدارية ككاتب مراسل، وفي 1أفريل 1885م عينَّ كاتباً بالبلدية المختلطة لواد الشرق وفي 1جويلية 1896م عين إداريا مساعدا بنفس البلدية.

وتمكن بفضل دراسته المستفيضة حول الإسلام أن ينشر كتاباً حول (الطرق الصوفية الدينية الإسلامية) وتوصل من خلال هذه الدراسة إلى أنه من الضروري إنشاء مصلحة خاصة بالشؤون الإسلامية تقوم بجمع كل ما يتعلق بالإسلام لتوفير المعلومات الأساسية التي تهم الحكومة الفرنسية والمصالح المعنية بذلك، في نفس الوقت تقوم هذه المصلحة بإعطاء إرشادات عامة حول السياسة الاستعمارية لكسب ود الطرق الصوفية أو محاربتها إذا ما رفضت الإذعان لقراراتهم[4].

وعندما ألحق بالحكومة العامة لمنطقة غرب إفريقيا في عام 1895م احتك بالبيضان فتمكن من اللهجات المحلية في موريتانيا وخصوصا اللهجة الحسانية وقد تم تكليفه في النصف الثاني من ثمانينات القرن التاسع عشر من طرف الحكومة الفرنسية للقيام بدراسة ميدانية حول موريتانيالتكون بمثابة بداية الاستعمار الفرنسي في المنطقة،وفي سنة 1899م صدر قرار حكومي بتبني مشروع احتلال موريتانيا تحت قيادة كوبولاني[5].

---

[1] المختار بن حامد: حياة موريتانيا حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تق و تح: سيدي احمد بن احمد سالم، ص647.

[2] محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق، ص53.

[3] محمد المحجوب ولد بيه: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، انواكشوط، 2016، ص204.

[4] محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق، ص53

[5] عبد الخالق بهلول، سامية عيدودي: الحركة التحررية في موريتانيا (1903-1960)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، اش: خليدة بليدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2017/2016، ص24.

2-مشروع كوبولاني:إن المصادقة على مثل هذا المشروع الذي اقترح من طرف هذه الشخصية أمام الحكومة الفرنسية لم يكن بالأمر الهين قبوله، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعايشها الحكومة الفرنسية إلا أن كوبولاني بفضل تجاربه السابقة وحنكته سهلتعليه كيفية إقناع وزارة المستعمرات بإفريقيا الغربية.

وقد تم تكليفه في سنة 1898م بمهمة التفاوض مع البيضان والطوارق القاطنين شمال السودان الفرنسي والقيام بدراستهم من الناحية السياسية والدينية وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلمية، وكان هدف كوبولاني الأول هو مسالمة أولاد علوش ومشظوف واستطاع بفضل دبلوماسيته السلمية إخضاعهم وبذلك شق كوبولاني طريقه إلى بلاد الطوارق مصحوبا بمساعدات أرنو arnoud فوصل إلى تومبكتو ثم إلى بانبا ثم إلى أزواد[1].

وبفضل هذه الرحلات التي قام بها كوبولاني نبهت الحكومة الفرنسية ووزارة المستعمرات بأهمية ضم موريتانيا ولذلك سارع كوبولاني لعرض مشروع احتلال موريتانيا، وظهرت عدة معارضات في بادئ الأمر بسبب انشغال الحكومة الفرنسية بحملاتها في غرب إفريقيا وتشاد، كما عارضه التجار الفرنسيون الذين كانوا يريدون عدم تدخل السلطة الفرنسية في تجارة الصمغ وإبقائها محتكرة من طرفهم[2]، كذلك عرفت تحفظاً على هذا المشروع بسبب الحالة الدولية لبعض المواقع الإقليمية المحصورة فيما سيعرف بموريتانيا الغربية، وخاصة الحقوق الاسبانية في واد الذهب[3] وحقوق انكلترا في رأس جيبي "الطرفاية".

وردَّ كوبولاني على هذه الاعتراضات بتسوية الأمر بتقديم مشروع أصغر يستثني واد الذهب من خطة الاحتلال ما جعل وزير الخارجية الفرنسية ديلكاسي يوافق على هذا المشروع[4]، بعد القيام باتفاقيات مع كل من بريطانيا واسبانيا لإرضائها قصد إبعاد معارضتهم من أجل سيطرة فرنسا على تلك الأراضي وكان الاتفاق مع بريطانيا سنة 1890م الذي يحدد و يعترف بمناطق

[1] رائد جليه، كتاب التوغل في موريتانيا، تح: محمذن ولد حمين، دار الضياء، الكويت، 2009، ص127.

[2] الهام مُحَمَّد علي ذهني: المرجع السابق، ص195.

[3] رائد جليه: المصدر نفسه، ص273.

[4] الحسين بن محنض: المصدرالسابق، ص273.

النفوذ الفرنسية في الأراضي الواقعة جنوب المتوسط وكان معناه أن أراضي موريتانيا تابعة لفرنسا،[1] وسيدعم هذا المشروع أيضا بعد الإعلان عن اتفاقية 27 جويلية مع اسبانيا المحددة لممتلكات كل من الدولتين والتي تعترف فيها فرنسا بحقوق اسبانيا في واد الذهب[2].

وبذلك نجح كوبولاني في إبعاد الدول التي تعرقل دخوله للسيطرة على تلك الأراضي التي ستعرف بموريتانيا، وهنا بدأ بتنفيذ مشروعه في بلاد البيضان معتمدا على درايته الفائقة باللغة العربية ومعرفته بعقليات المسلمين فعرف كيف يكسب عطف محاوريه بتبادل الرسائل العطرة وهدايا الصداقة مع الشيوخ الذين أصدروا فتوى بالثناء على رجل السلم ومنهم الشيخ سيديا والشيخ سعد بوه.

وبهذا المنطلق قام كوبولاني بإنشاء مراكز في النقاط الإستراتيجية من أجل المراقبة وتوخي ضربات الأعداء وتدريجيا سيكسب السلم الفرنسي الذي يدعيه كوبولاني كل من بلاد الترارزة والبراكنة المحاذيتين للسنغال وتوسع إلى تكانت وآدرار وهكذا إلى جنوب المغرب، فمزايا السلم ستدفع بعض القبائل إلى الموالاة[3].

أ–احتلال الترارزة: كانت منطقة الترارزة تعيش الفوضى بسبب الصراع على السلطة فانتهز كوبولاني هذه الفرصة مستغلا التنافس الحاصل على أطراف السياسة المحلية دون انحياز لها[4]، التي كانت بين الأمير أحمد السالم وسيدي ولد مُحَّد فال حيث حدث اصطدام بين الطرفين في قتال مريب جعل كوبولاني يتحايل للتدخل من أجل فك النزاع بتصرف سلمي؛ فالفكرة الأم لسياسته أن يقدم نفسه على أنه مدافع عن المظلومين وبذلك تم تنظيم رتل عسكري في مارس 1902م سمي برتل مراقبة ترارزة وضرب مخيمه عند سهوت الماء[5]، وقام هذا الرتل باستقطاب أعداء أحمد السالم من أبناء مُحَّد فال وأتباعه وإعلان خضوعهم له بتوجيه من فرنسا، بتأييدها

[1] عفاف عباس: المرجع السابق، ص54.

[2] مُحَّد الراضي ولد صدفن: "الاستعمار الفرنسي وآثارها في موريتانيا"، عصور الجديدة، العدد11–12، خريف–شتاء(فبراير) 1434هـ/2014/2013م، ص267.

[3] رائد أفريجان: موريتانيا 1903–1911م قصصمغامرات وجولات وحروب في بلاد البيضان، تع: جنفييف ديزيري فييمن، ص10.

[4] عبد الخالق بهلول،سامية عيدودي:المرجع السابق، ص24.

[5] رائد جليه : المصدر السابق، ص132 .

لأحمد السالم غادر سيدي ولد أحمد فال خارج الترارزة إلى إمارة البراكنة، وبذاك قد سمح لفرنسا بالتدخل في الشؤون الداخلية و تعيين الأمراء وكذلك تعيين مقيم فرنسي في المحظر الأميري[1].

ب–احتلال البراكنة: بعد إخضاع الترارزة للقوة الفرنسية توجه كوبولاني صوب احتلال البراكنة منطقة قبائل أولاد عبد الله وادوعيش ولم يكن بالأمر السهل احتلالها مثلما حدث في الترارزة ففي هذه المنطقة قد وجد الزعيم المسن بكار ولد أسويد أحمد الذي جعل من نفسه روح المقاومة ببعث رسله إلى شتى الأماكن داعيا إلى الحرب فانضم إلى صفه أمير البراكنة أحمد ولد سيد اعل مما سيكسبه ود الكثير من أنصار الجهاد ضد النصارى[2].

وفي شهر فبراير 1904م قام بكار بالهجوم على مركز فرنسي في منطقة "ميت"التابعة للبراكنة ليحقق انتصاراً على الحامية الفرنسية، ونتيجة لتفوقه قام بإنشاء مركز قواته في منطقة آفطوط مكون من أنصاره في تكانت والبراكنة و آدرار، وقد كان الدعم الأساسي لبكار ولد أسويد أحمد هو وصول الدعم من طرف الشيخ ماء العينين الذي بعث ابنه الشيخ حسنة للوقوف إلى جانبه في مواجهة الفرنسيين، وبذلك قام كوبولاني بتنظيم القوات الفرنسية بزعامة افريرجان للقضاء على المقاومة وفي منطقة آفلة اشتد القتال بين الطرفين[3]، حيث أمر الأمير بكار المقاومين بالانسحاب حتى لا يشتد بهم الضعف حفاظا على قوتهم وتركه حيث هو قائلا مقولته المشهورة: "إن النصارى سيكتفون بقتلي ويعودون، فالذئاب لا تتخطى جثة الليث"، وظل يقاوم إلى أن استشهد وكان يوم الفاتح من ابريل 1905م وعلى اثر مقتله لم يلق كوبولاني من يعترض طريقه إلى تجكجه التي دخلها اليوم الثاني من مقتل بكار.

ورغم ما أصاب المقاومة بعد قتل أحد قادتها الكبار باعث روح الأمل والتضحية في نفوس المترددين فإن المقاومة لم تتوقف بل زادت حدة الغضب والكره، إذ ما لبث فريق مكون من 21 رجلا جلهم من قبيلة ايدشل تحت قيادة سيدي عالي ولد مولاي الزين إلى التوجه نحو تجكجه

[1] علي بدوي علي سليمان: المرجع السابق، ص62.

[2] غاستون دوفور: المرجع السابق، صص 68- 69

[3] محمد الراضي ولد صدفن: المرجع السابق، ص268.

حيث فاجئوا قائد الحملة الاستعمارية كوبولاني مساء 12ماي 1905م فقتلوه كما استشهد الشريف ولد الزين أيضا[1].

وهكذا لقي كوبولاني مصرعه لتنتهي بذلك أطماعه وسياسته التوسعية في موريتانيا وبهذا وجدت فرنسا نفسها أمام خسارة كبيرة جراء فقدانها لأكبر العقول المدبرة التي جعلتها تسيطر على موريتانيا.

خلاصة الفصل:

وكخلاصة لهذا الفصل نجد أن موريتانيا كان لها موقع جغرافي هام داخل القارة الإفريقية نظرا لوقوعها على الساحل الأطلنطي الذي سيكون طريق الكشوفات الجغرافية التي جعلت العديد من الرحالة يأتون الى المنطقة كتجار خاصة بعد اكتشاف الذهب والصمغ وكذا صيد الأسماك وبهذا زادت البعثات الكشفية نحو هذه المنطقة لدراستها من جميع الميادين وبالتالي أصبحت هذه البعثات هي القاعدة التي انطلق منها الفرنسيون للتعرف على مناطق موريتانيا، التي سيعتمد عليها فيما بعد الفرنسي كوبولاني في مشروعه الذي سيكون بمثابة البداية الأولى للأطماع الفرنسية على أراضي موريتانيا للتحايل من أجل الدخول بإستراتيجية سلمية بعد إقناع الحكومة الفرنسية بضرورة ربط مستعمراتها الغربية بالقارة الإفريقية لتثبيت دعائم الاستعمار فيها، فكانت الخطة الخبيثة التي استخدمها كوبولاني بإقامة علاقات مع بعض المشايخ الكبار الموالين له وذلك عن طريق إصدار فتوى تشرع التعامل مع النصارى، غير أن بعض المشايخ رفضوا هذه الفكرة بإعلان الجهاد ضدهم وهذا ما سنقومبعرضه في الفصل الموالي.

[1] محمّد المحجوب ولد بيه: المرجع السابق،ص ص219-220.

الفصـل الثاني

نازلة الاستعمار وموقف بعض العلماء الموريتانيين منها

إن دخول الاستعمار الفرنسي لموريتانيا خلال القرن19م واحتلالها جعل المجتمع الموريتاني بمختلف طبقاته يقاومه ويرفض وجوده في بلادهم فسعوا إلى طرده بشتى الطرق، إلا أنها بقيت تواصل توسعها واحتلالها في كل شبر من أراضي موريتانيا، والشيء الملاحظ عند دراسة موقف العلماء الموريتانيين من نازلة الاستعمار هو وجود تباين من حيث المواقف فهناك فئة من العلماء رحبوا بالوجود الفرنسي في بلادهم وأصبحوا يقدمون الحجج لتبرير موقفهم في حين أن بعضهم رأى ضرورة محاربة النصارى فشرعوا الجهاد ضد عدو الله والأرض، وقبل الولوج إلى الحديث عن موقف هؤلاء المشايخ لابد أن نعرج على تعريف النازلة أو النوازل:

1. مفهوم النازلة أو النوازل:

أ- لغة: النازلة في اللغة: اسم فاعل من نزل ينزل إذا حل وقد أصبح اسما على الشدة من شدائد الدهر كقول الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها مخرج

ومن ذلك: القنوت في النوازل يعني الشدائد التي تحل بالمسلمين[1].

ب- اصطلاحا: وتعتبر النازلة مصطلحاً فقهياً يراد به عند الفقهاء مجموعة من المدونات من الفتاوى المتعلقة بالمشاكل اليومية وإعطاء القضاة بعض الأحكام فيها[2]. وهي أيضا تقديم للحكم الشرعي يقوم على محاولة تكييف دقيق للواقعة المسؤول عنها وتقليبها على شتى أنحائها لإدراك جميع جوانبها مع إعمال الآلة الاستدلالية اللازمة للحكم.

إذن فالنازلة هي التي تختص بالحدوث والوقوع، لأن موضوعها يطرح نفسه مسألة تستدعي حلا جديدا، نظرا لانعدام نص لدى المفتي أو حدوث فيها مثال سابق[3]. بمعنى لم توجد فيها فتاوى سابقة.

---

[1] محمد بن الحسين الجيزاني: فقه النوازل "دراسة تأصيلية تطبيقية"، مج1، ط2، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1467هـ/2006م، ص20.

[2] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18م-19م)، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص319.

[3] يحي ولد البراء: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، ط1، المكتبة الوطنية، نواكشوط، 2009، ص383.

المبحث الأول: العلماء المؤيدون للتواجد الفرنسي في موريتانيا

1. الشيخ سيدي بابا(أو سيديا بابا) وموقفه من نازلة الاستعمار:

أ- نبذة عن حياة الشيخ سيديا بابا:

قبل التطرق إلى موقف الشيخ سيدي بابا من الاستعمار الفرنسي لموريتانيا وجب إعطاء نبذة عن حياة هذا العالم الجليل والنابغة في علوم الدين والدنيا فهو الشيخ سيديا بابا ابن الشيخ سيدي بن المختار بن هيبة الإنتشائي عاش مابين 1860م و1924م، نشأ في ظل جده وأبيه على الرغم من أنهم توفوا وهو في سن مبكرة، ولكن هذا لم يثن من عزيمته فحفظ القرآن وهو دون العشر سنين، وقد اشتغل بالعلم عموما عند علماء كانوا تلاميذ لأبيه وجده وأخذ إجازة في العلوم التي أخذها عنهم فقد كانوا يقولون عنه: (أرسل إلينا لنعلمه فصار يعلمنا)[1].

قدم الشيخ سيديا مراكش أيام السلطان عبد الرحمان فنال حظوة عند علماء البلاد وعاد من رحلته ب200 كتاب: 77 في الفقه، 27 في التفسير، 25 في اللغة، 20 في التصوف والتوحيد وعدد من الكتب في الطب والتاريخ[2]. ولقد كانت له مجموعة من المؤلفات: كتاب تاريخ البيضان وإمارتي إدوعيش ومشظوف، نظم في الفرق بين حرف الضاد والظاء، رسالة في أجزاء قيمة الزكاة...الخ[3].

كان للشيخ سيديا هيبةعظيمة عند الخاصة والعامة محترما من طرف المواطنين وحتى الأجانب، فقد أذعنت له الزوايا وحسان وصار مثل الملك بينهم فكلامه مسموع ولا يخالف أمره أحد، حيث جعلته العرب في شنقيط حرما آمنا تلجأ إليه[4].

وبفضل هذه المكانة التي حظي بها أجمعت كافة القبائل على تعيينه رئيسا لهم كما كان أبوه وجده فقد كان قدر المهام التي أوكلت له خاصة فيما يتعلق بالخلاف بين القبائل كمشاكل أمراء

---

[1] الشيخ سيديا بابه ولد الشيخ سيدي: إمارتا إدوعيش ومشظوف: دراسة في التاريخ السياسي الموريتاني، تح:ازيد بيه بن محمد محمود، ط2، المعهد التربوي الوطني شركة الكتب الإسلامية، نواكشوط، 1415هـ-1994م، ص18.

[2] الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص112.

[3] مجموعة من المؤلفين: من أبرز علماء شنقيط، التعريف ب212عالما، ج1، ج2، ج3، د.ن، د.م، 2013، ص25..

[4] الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص315.

الترارزة مع أولاد أبير[1]، فهو بذلك يعتبر أكبر مصلح،حيث كان دائما يسعى إلى إصلاح ذات البين سواء بين الأمراء إذا تشاجروا أو قامت الحرب بينهم كما كان يصلح بين القبائل المتناحرة وأيضا بين الأفراد المتنافرين فيما بينهم، وهديهم إلى أمر ربهم امتثالاً وامتناعاً، فقد كان من أبرز الشيوخ إفتاء في موريتانيا خاصة في النوازل والحوادث التي كانت تصيب البلاد والعباد، وهذا ما سنراه في تعامله مع الفرنسيين.

ب- موقفه من نازلة الاستعمار:

وعندما كان الفرنسيون يتحرشون بالبلاد الموريتانية رأى الشيخ سيدي بابا أن التعامل معهم أمر لا مفر منه باعتبار أن البلاد في حاجة ماسة إلى سلطة مركزية تعمل على الحد من حالة السيبة والفوضى التي أثقلت كاهل القبائل، ولهذا الأمر برع الشيخ سيدي بابا في إصدار الحجج الشرعية التي تؤكد أن التعامل مع النصارى أمر في صالح البلاد[2].

ومما يدل على أن الشيخ سيديا كان متفتحا وصاحب علاقة واسعة مع الأجانب هو اتخاذه من قبل القبائل الموريتانية كواسطة بينهم وبين الفرنسيين لفك أسرهم منهم، فعندما كانت قبائل البراكنة تغير على الفرنسيين ورجالهم في السينغال وينهبون ممتلكاتهم لجأ هؤلاء الفرنسيون إلى الشيخ سيديا وذلك لما رأوا ما لديه من نفوذ داخل موريتانيا فبعث "فيدهرب" الجنرال الفرنسي برسالة إلى الشيخ يطلب منه التدخل لإعادة أموالهم التي سلبها أولاد أحمد إلا أن الشيخ رفض طلب الحاكم الفرنسي وأخبره بأن علاقة الزوايا وحسان لا تسمح لأي طرف منهما التدخل في الآخر كما وجه له خطابا يطلب منه فيه الدخول في الإسلام[3].وهنا نرى أن الفرنسيين استطاعوا أن يجعلوا الشيخ سيدي واسطة بينهم وبين الموريتانيين الذين كانوا يتعرضون لهم أثناء وجودهم في بلادهم، وهذا ما يدل على ذكاء الفرنسيين باعتبارهم تمكنوا من ضم الشيخ سيدي صاحب الكلمة المسموعة في البلاد الموريتانية إلى صفهم.

---

[1] الشيخ سيديا بابه ولد الشيخ سيدي: المرجعالسابق،ص27.

[2]أحمد ولد هارون ولد الشيخ سيدي: الشيخ سيدي "الموروث الثقافي والأدبي"، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص195- 160.

[3]الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص321.

ولما استتب الأمر لفرنسا وتولى كوبولاني مشروع احتلال موريتانيا عمل على استمالة الشيخ سيديا إلى جانبه لإخضاع القبائل لسلطته، فلجأ إلى استخدام أسلوب ذكي للوصول إلى غايته عند هذا الشيخ، حيث طرح عليه سؤالا لا يثير ريبة وشك الشيخ في نواياه التي يسعى من ورائها الى السيطرة على بلاده، وقد تمثل نص السؤال فيما يلي: هل ينبغي للمسلمين أن يجاهدوا النصارى في أرض هم بها غير متعرضين لهم في شيء من دينهم، بل يساعدونهم على إتباع الدين بنصب القضاة وما أشبه ذلك، وهذا مع علم المسلمين أن لا قوة لهم على الجهاد كأهل الجهة القبلية من أهل المغرب؟ وقد رد الشيخ سيديا على هذا السؤال باعتماده على بعض الأحاديث الشريفة التي وجدها في كتب بعض العلماء مثل مختصر خليل، وبناء على هذا صرح الشيخ سيديا في إجابته على ضرورة مهادنة النصارى مادام التعامل معهم فيه خير ومنفعة للناس ولا يتعرضون لهم في شيء من أمور دينهم[1].

نحن لا يمكن أن نعيب على الشيخ حكمه هذا لأنه اعتمد على ما في الحديث النبوي الشريف وهذا لا غبار عليه،ولكن كان يجب على الشيخ أن يتأكد من نوايا كوبولاني من وراء طرحه لهذا السؤال.

وقد قام الشيخ سيديا الذي كسب ثقة كوبولاني بإصدار فتوى تؤيد وجودهم وتبين للمسلمين أن احتلال الفرنسيين لبلاد البيضان نعمة فهم في نظره أرسلهم الله رحمة لعباده ولطفا بهم، حيث وضح في إحدى فتاواه حالة السيبة التي كانت تعاني منها البلاد فلا عيش يهنأ فيها ولا أموال يستطيعون الحفاظ عليها، ناهيك عن سفك الدماء وانتهاك الحرمات حتى بين الأقارب التي لم تعد على العباد والبلاد بالخير، فلا الأمراء ولا العلماء استطاعوا إيجاد حل يخرجهم من حالة الفوضى السائدة منذ قرون كثيرة، ولذلك رأى الشيخ سيديا أن صلاح الأحوال لا يتم إلا بتدخل فرنسا الدولة القوية والمصلحة، ولهذا واجبهم شكر المولى عليها وشكر هذه الدولة التي ستعمل على حفظ الأمن ونشر السلم في أراضيهم، فهو ينبه الى ضرورة وجود سلطان في بلادهم يعمل على إقامة العدل وإصلاح البلاد حتى ولو كان مخالفا لهم في دينهم وله القدرة والقوة لفعل ذلك، ففي

[1] الشيخ سيديا بابا(ت:1924): السؤال الذي طرحه كوبولاني على الشيخ سيديا ورد هذا الأخير عليه، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي،رقم 470، نواقشوط، و3.

رأيه أن المصالح لا تستقيم إلا بوجود سلطان يسهر على تحقيقها ولقد أكد موقفه هذا باعتماده على ما ورد في سراج الملوك للإمام أبي بكر الطرطوشي، الذي يرى بأن: وجود السلطان في بلد هو حكمة عظيمة من المولى عز وجل، سخرها لعباده كونهم مجبولين على حب العدل والانتصاف فلقد شبه بلادهم السائبة بالحيتان في البحر يأكل الكبير الصغير فما داموا بلا سلطان لن تتزن أمورهم أو تنتظم ولن يستطيعوا العيش في سلام وهناء، وقد أورد أمثلة كثيرة تنطبق على الحالة السياسية التي تعاني منها موريتانيا وخير مثال هو: "ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله فئام من الخلق يعالجون صنائعهم فبينما هم كذلك طفئ السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه...فتعطلت المنافع واستطارت فيهم المضار..."[1].

ومنه نجد أن الأوضاع السياسية لموريتانيا وخاصة الفراغ السياسي للمنطقة كان يشغل بال الشيخ سيديا مما جعله يجتهد في إصدار هذه الفتوى التي تشير إلى ضرورة وجود سلطان يسير البلاد الموريتانية ويحفظها من الأخطار الداخلية وكذا الخارجية حتى ولو كان مخالفاً لهم في الدين.

وفي هذا الصدد نشير إلى الرسالة التي وجهها الشيخ سيديا بابا إلى القبائل ليقنعهم بعدم محاربة فرنسا، وقد اعتقد الشيخ سيديا بابا أنه باستطاعته الاستفادة من تلك الشعارات التي كان يرفعها الفرنسيون في بلدانهم وقد أبرز هذا من خلال رسالة له يقول فيها:"إنه تقرر في قوانينهم (الفرنسية) المتفق عليها منذ حين عدم التعرض لأحد من أهل الأديان كائن من كان وأن من تعرض لصاحب دين من المسلمين أو غيرهم يعاقب عقوبة شديدة، وشاهدنا مصداق ذلك. وقد رأينا من أسلم من الفرنسيين وغيرهم في أندر واندكار (داكار)..."[2]، وهكذا بدأت القبائل من مختلف أصنافها الزوايا وبنو حسان في الترارزة تأتي دوريا لإعلان خضوعهم لفرنسا بحضرة الشيخ سيدي بابا وكذا الشيخ سعد بوه[3].

---

[1] الشيخ سيديا بابا(ت:1924): الرسالة التي وجهها الشيخ سيديا إلى القبائل الموريتانية،و و7،8.

[2] حماه الله ولد السالم: جمهورية الرمال حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص ص30-31.

[3] رائد جليه: التوغل في موريتانيا اكتشافات- استكشافات...غزو، تر: مُحَّد ولد حمينا، ط1، دار البيضاء، الكويت، 2009، ص135.

وعليه فلا يمكن أن نحكم على الشيخ سيديا بأنه كان متعاونا أو متواطئا مع الفرنسيين، بل على العكس فهو هنا كان يراعي ما فيه صلاح العامة وعدم تعريضهم لمواجهة القوة الفرنسية التي كانت تختلف عنهم عدة وعتادا، ولكن أيضا يجب أن نقول قول حق إنه بإفتائه هذا قد عرض البلاد للخطر أكثر مما كان يظن سواء بقصد أو عن غير قصد.

2. الشيخ سعد بوه(أو سعد أبيه) وموقفه من نازلة الاستعمار:

يعتبر الشيخ سعد أبيه احد زعماء الطريقة القادرية من ذوي المكانة المرموقة بين البيضانيين وصاحب التأثير القوي في جذبهم، حيث لعب الدور البارز في إقناعهم بقبول التعامل مع الفرنسيين كسائر إخوانهم العرب والأفارقة وذلك عن طريق اجتهاد في إصدار فتاوى تحبذ المراد.

أ- نبذة عن حياة الشيخ سعد بوه:

وقبل أن نبدأ الحديث عن موقف الشيخ من الاستعمار الفرنسي لابد أن نعرف به: ولد الشيخ سعد أبيه بن مُحَمَّد الفاضل في عين الفتح بمدينة النعمة التابعة لمنطقة الحوض جنوبي شرق موريتانيا، في وسط أسرة عريقة ذات نسب شريف ولها حظ وافر من العلوم لاسيما علوم الباطن والتصوف ونحوه[1]، فأمه مريم بنت أحمد الوالي من ادادهس من قبيلة أولاد ابيري[2], وأخوال الشيخ سعد بوه هم قادة الطريقة القادرية البكائية في منطقة "القبلة"، ولقد ترعرع في أحضان والده الشيخ مُحَمَّد الفاضل ودرس على يد أخيه مُحَمَّد الزين إلى أن وصل إلى درجة التمشيخ فكان له واجب تأدية رسالة العلم على عادة أهل التصوف سنة1863م، فأغذَّ المسير حتى وصل صيت والده بل تجاوزها بالوصول إلى بقاع لم تسمع باسم الشيخ مُحَمَّد الفاضل[3].

وقد هاجر مسقط رأسه بلاد الحوض برسم تربية القلوب وهداية الناس فكان همه إبلاغ رسالة الحق في شتى الأمصار لنفع العباد وإرشاد الأمة وإصلاح ذات البين، وتتلمذ على يده

---

[1] المختار ولد مُحَمَّد: الطرق الصوفية في موريتانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،ا.ش: بن يوسف التلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة، الجزائر،2011/2010، ص126.

[2] المختار بن حامد:، حياة موريتانيا حوادث السنين أربعة قرون موريتانيا وجوارها، تق و تح: د سيدي أحمد بن أحمد سالم، د.ن، د.م، د.س،ص636.

[3] مُحَمَّد الفاضل ولد الحطاب: الفاضلية والشيخ سعد ابيه على ضفتي النهر، مجلة مخبر الدراسات والبحوث التاريخية مصادر (كراسات التاريخ الموريتاني)، الكراس الرابع، نواكشوط، 2004، ص81.

مشايخ كثر من موريتانيا والسينغال وغينيا، ولقد حل بمنطقة الترارزة وهو في عز شبابه واستقر أول أمره بمنطقة الزير في الجنوب الغربي لمنطقة الترارزة ثم ارتحل إلى النمجاط التي تقع في جنوب شرقي نواكشوط أين أقام هو وبنوه من بعده وقد حاول بعض معاصريه في الترارزة مضايقته غير أنه قضى على تمردهم فأذعنت له الأعناق واستسلم له المعاندون[1]. وكل هذه المناطق التي استقر فيها تعتبر مناطق إستراتيجية نظرا لوقوعها على نقاط مياه أو تبادل تجاري، وخاصة مواضيع تلاقي الرحالات التي تربط جنوب المغرب بمنطقة السينغال ذهابا وإيابا، وبالتأكيد سيكون بداية التقابل مع التجار أو الرحالة الذين كانوا يفدون إلى تلك المناطق[2].

بالإضافة إلى أنه علامة جليل وقطب زمانه فقد ألف مجموعة من المؤلفات من بينها: نور الصراط المستقيم وحاطب الليل وحصن المتضرع من كل بلاء وويل ونبراس المعنى في شرح الغامض من أسماء الله الحسنى[3]. وتوحي كتاباته بتوجهه الصوفي، ولا يبرز منهجه التصوفي من خلال مؤلفاته فقط، بل نابع من داخل تربيته الأسرية، فقد كانت أسرته تتزعم الطريقة القادرية في موريتانيا وهي الفرع الفاضلي، نسبة إلى الشيخ مُحَّد فاضل القلقمي رحمه الله.

ب- موقف الشيخ سعد بوه من نازلة الاستعمار:

وكما كان للشيخ سعد بوه دور ثقافي في نشر تعاليم الإسلام، كذلك لعب دورا بارزا في المحافظة على أرواح المسلمين خاصة بعد دخول المستعمر الفرنسي إلى موريتانيا، حيث كان الشيخ سعد بوه معارضا لفكرة جهاد النصارى، معللا ذلك بأن هؤلاء النصارى أقوى عدة وعتادا من الموريتانيين ولذلك يرى بأن ضرر المقاومة أكبر من نفعها[4].

ولقد كانت له عدة مواقف مشهورة حول موقفه من محاربة فرنسا، ويتجلى هذا من خلال علاقاته الحسنة مع الفرنسيين الذين حاولوا كسب هذا الشيخ عن طريق مبدأ المصلحة والمنفعة وبالتالي سيكون هذا هو الطريق الذي ستسلكه لاحتلال موريتانيا، وتظهر لنا العلاقة الودية بين

---

[1] المختار بن حامد: المرجع السابق، ص ص 636-637.

[2] مُحَّد الفاضل ولد الحطاب: المرجع السابق،ص82.

[3] مجموعة من المؤلفين: من أبرز علماء شنقيط التعريف ب212عالما، مديرية الثقافة والفنون، موريتانيا، ج1، ج2، ج3، 2013، صص 23- 24.

[4] مُحَّد بن سيدي مُحَّد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط:رسالة علمية تناولت المفسرين الشنقيطين وتفاسيرهم خلال مايربو على أربعة قرون،ط1،دار يوسف بن تاشفين،مكتبة الإمام مالك،(د.ن)،1429هـ/2008م،ص333.

الشيخ سعد بوه والفرنسيين من خلال بعثة بلانشي التي كانت من أجل الإطلاع على الترارزة واينشيري وصولا إلى آدرار وتقديم تقرير مفصل على هذه المناطق، إلا أن هذه البعثة تعرضت لمواجهة دامية في آدرار وتم أسر بلانشي فيها وبعض عناصره والترجمان ولد المقداد، ولم يتم إطلاق سراحهم إلا بتدخل الشيخ سعد بوه وذلك عندما طلب الفرنسيون منه ذلك[1].

وعندما أتى إليهم وجدهم قد أجمعوا أنهم إما يقتلونهم أو يذهبوا بهم الى سلطان الغرب فتوسط الشيخ سعد أبيه لدى أمير آدرار المختار بأن يطلقوا سراحهم فإن ذلك فيه خير للمسلمين، فالدولة الفرنسية قد ألمت بما جاور بلادهم فلا يجب إثارة غيظها بل العمل على مصادقتها وجبر خواطرها، حيث ذكر بأنه تعامل معهم منذ ثلاثين سنة وما بدا منهم إلا الصلاح فكان رد الطلبة والعلماء عليه بأن يقتلوا سعد بوه باعتباره قد ناصر الفرنسيين غير أن سعد بوه طلب أن يلتقي مع هؤلاء العلماء حتى يبين لهم غلطهم واستطاع إقناعهم بالحجج من شريعتهم، وبين لهم أنهم لايجوز قتلهم لأنهم دخلوا بأمان وعهد من أمير آدرار وكذلك قتلهم لثلاث لن ينقص من قوتهم وسيجري الفساد على المسلمين[2]، وقد أقنعتهم حجة سعد بوه لكن طالبوا بالثأر لمن قتل ظلما من رفقة شنقيط التي قتلها قناص السنغاليين وعندما طلب بلانشي الصلح ودفع الدية تراضى الجميع بحضرة الشيخ سعد بوه[3].

وهنا نرى أن الشيخ سعد بوه كان على صواب إذا نظرنا من الزاوية التي اتخذها، فقيمنا الإسلامية لا تسمح بالتعامل بأفعال لا أخلاقية مع الذين لم يتعرضوا للدين بل واجبهم أن يتعاملوا معهم بالحسنى حتى نظهر رسالة الإسلام على وجه الأرض، فالدين الإسلامي كان يحثنا على التعامل بالحسنى مع الديانات الأخرى فهو بذلك دين تسامح وتواد لا دين تعسف وجبروت، فسعد بوه من خلال تعامله هكذا مع الأسرى الأجانب كان يريد أن يبين لهؤلاء النصارى بأن المسلمين يعاملون غيرهم على حسب ماتمليه عليهم شريعتهم السمحاء.

---

[1] المختار بن حامد: المرجع السابق، ص635.

[2] Nacer-Eddine: chroniques de la Mauritanie sénégalaise, tr: Ismaël Hamet Bibliothèque nationale de France, paris,1911, p102.

[3] المختار بن حامد: المرجع نفسه، ص635.

وأصبح الشيخ سعد بوه منذ أن دخلت فرنسا موريتانيا القطب المؤيد لتدخل هؤلاء النصارى في شؤون البلاد وقد ساعدهم على ذلك من خلال تسخير قلمه وعلمه لإقناع الموريتانيين بفضل دخول فرنسا أرضهم، بل أصبح يحاول إقناع معارضيه بضرورة الكف عن مواجهة فرنسا نظرا لما لديها من قوة فها هو يوجه رسالة لأخيه الشيخ ماء العينين عندما حمل هذا الأخير لواء الجهاد ضد النصارى في موريتانيا، فسارع سعد بوه بإرسال رسالته التي ينصح من خلالها ماء العينين بالتخلي عن هذا القرار الخطير والأمر الجسيم، فبدأ يذكره بخصال والدهم الذي كان يتبع النهج القويم ويمتثل حسب قول ابنه إلى الأحاديث الصحاح الزاجرة أثناء قيام الفتن والحروب وسعيه إلى المؤاخاة في الله والرحم[1].

وهكذا نرى أن سعد أبيه قد عمل على استنباط الحجج التي يريد أن يقنع بها أخاه من خلال ما كان والدهما يقوم به في تلك الأيام التي استفحلت فيها البلاد الفتن،ولذا إن أصاب فيما يقول فله الحجة والدليل وإن لم يصب فله أجر الاجتهاد والدعوة إلى الابتعاد عما سيجر الفتن لأخيه أو بلده.

فالشيخ سعد أبيه في هذه الرسالة يعتبر أن الجهاد وحمل السلاح من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أورد الرسول عدة أحديث في هذا الشأن من أمثلتها قوله ﷺ:" من قطع شبرا من غير سلاح فليس منا" والذي فيه: "رزقي تحت ظل رمحي" وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم من ذكر القتال وأخذ الحذر والاستعداد بالقوة وغيره، كما ذكر الشيخ سعد أبيه في هذه الرسالة أن الرسول ﷺ أصدر أحاديث أخرى يوصي بها الصحابة عكس ذلك خاصة عند ظهور الفتن واستدل بمقتل عثمان ﷺ، فأشار إلى الحديث الذي في معناه قطعوا أوتاركم وكسروا قسيكم وغيرها كثير، كما تحدث عن قصة قابيل وهابيل والتي يريد أن يوضح لنا من خلالها،بأنه من الأحسن أن تكون المقتول وليس القاتل وغيرها من أحاديث البخاري التي لاتخفى عليك أخي نظرا لشهرتها وتواترها.[2]

[1] الشيخ سعد بوه(1335هـ): النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة افرانصة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، مخطوط، رقم النسخة: 3513، نواقشوط،و1.

[2] سعد ابيه: نفسه،و3.

فهذا الحديث فيه إشارة بينة إلى ضرورة التسامح والتعامل مع الغير الذي قد لا يشترك معنا في الدين أو الأصول،وقد حاول الشيخ سعد بوه من خلال هذا الحديث أن يبرر موقفه المؤيد لتواجد الفرنسي في موريتانيا.

لم يمل الشيخ سعد أبيه من تقديم الأحاديث وتدعيمها بما جرى للصحابة رضوان الله عليهم وتركهم السلاح وتفضيل القتل على مواجهة الموت الذي فيه ضرر، وخير دليل هو ترك علماء الصحابة وكبرائهم الدخول فيما شجر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما على الرغم من أن كلاً منهما مجتهد ومثاب على ما فعل، واستدل الشيخ سعد أبيه أيضا بما فعله عثمان ﷺ عندما تخلى عن الدفاع عن نفسه أثناء بيعة أهل الحل والعقد له من المهاجرين والأنصار وكذا منعه لسيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ومن معه من الدفاع عنه، على الرغم من أنهم كانوا قادرين على فعل ذلك ومع معرفة أنه مظلوم ولكن بقي حتى سلم نفسه للقتل ﷺ.

وفي هذه الرسالة العديد من الأدلة والبراهين التي اعتمد عليها الشيخ سعد أبيه من أجل إقناع ابن أبيه(ماء العينين) على التوقف عن محاربة فرنسا وتحريض الناس من أهل البلاد على فعل ذلك، لأنه يرى أن مواجهة النصارى أمر ليس فيه خير لا لأخيه ولا السكان باعتبار أن هذا الجهاد لن يجني منه سوى العقاب وخزي الدنيا والآخرة، بمعنى آخر حسب قوله: "من حمل السلاح ترك الصلاح"[1].

ومن هنا يتضح أن الشيخ سعد أبيه قد بنى علاقات ودّ وتعامل حسن مع النصارى تجنبا منه لارتكاب أكبر الأضرار؛ وهو سفك دماء الأبرياء إلا أن هذا لم يوقف فرنسا أو النصارى عن قتل ونهب وحرق وتشتيت أُسر، على عكس ماكان يتوقعه الأخوان الشيخ سيدي بابا والشيخ سعد بوه، لذا رأت جماعة من العلماء الآخرين أن التعامل مع النصارى أمر غير جائز وليس فيه إلا الضرر للبلاد والعباد وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: العلماء المناهضون للوجود الفرنسي في موريتانيا:

إن العلماء الرافضين للتوغل والتدخل الفرنسي في موريتانيا قد تباينت آراؤهم وفتاواهم حول نازلة الاستعمار فهناك من رأى ضرورة الهجرة من بلد قد سيطرَ عليه النّصارى، في حين أفتى

[1] سعد أبيه: المصدر السابق، و3.

البعض الآخر بضرورة الجهاد والهجرة الداخلية مع تقصير أداء الصلاة لأن العدو الفرنسي لا يجب أن نأمن شره فهو غادر ويهاجم في أي لحظة، ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا مناهضين للاستعمارالشيخان ماء العينين و الشيخ حماه الله التشيتياللذان لعبا الدور الكبير في مواجهة التوسع الاستعماري وعملوا على استنهاض همم السكان لمجابهة هذا العدو.

1. الشيخ ماء العينين وموقفه من نازلة الاستعمار:

أ- نبذة عن حياة الشيخ ماء العينين:

ولد ماء العينين في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر شعبان المبارك عام 1830م وترعرع في وسط عائلته مع إخوته وأفراد عشيرته، فهو لم يضطر للتنقل من أجل طلب العلم بل تشرب كل العلوم والتربية على يد والده، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما لوالده من مكانة علمية وتربوية وقد استطاع أبوه أن يكوّن علماء متمكنين من شتى الفنون والاختصاصات، وقد كان مُحَمَّد فاضل* صارما في تربية أبنائه إلى درجة أنه كان يدعو الله أن يجعلهم حافظين لكتابه وحدوده وإن لم يكونوا كذلك فأفضل أن يموتوا ويذهبوا إلى ربهم، كما أنه وهب للشيخ ماء العينين رعاية خاصة وذلك بسبب ما رأى فيه من مواهب، فسعى إلى تنميتها حتى أصبح ماء العينين شاربا من مختلف المعارف، الشيء الذي أهّله للإفتاء والتدريس[1].

لجأ بعد ذلك الى الاهتمام بالنظر والمطالعة لمختلف الكتب وأخذ يدرس ويؤلف، فقد كان عصاميا نابغا في كل الفنون والعلوم فنهل منها مالم يستطع أن ينهل غيره في زمانه ولا بعده، وخير دليل على ذلك ما خلفه من الكتب والمؤلفات ساعدت في إثراء المكتبة الإسلامية المغربية والعربية

*مُحَمَّد الفاضل بن مامين القلقمي عالم جليل مؤسس الطريقة الفاضلية في منطقة غرب وجنوب غرب الصحراء يرجع نسبه إلى القلاقمة إحدى تفرعات الأدارسة الشرفاء الحسنيين وقد أخذ الطريقة القادرية مسلسلة عن آبائه إلى حد الجد السابع توفي عام1286هـ. ينظر يحي ولد البراء: مصدر سبق ذكره، مج1، ص279.

[1] مجموعة من المؤلفين: الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تق: اليزيد الراضي، تن: النعمة علي ماء العينين، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ/2001م، ص36.

بمختلف الكتب الإسلامية التي من بينها على سبيل المثال لا الحصر: كتب الأصول والفقه والتوحيد والعقائد والنصائح...[1].

اسم الشيخ الحقيقي مصطفى بن الشيخ مُحَمَّد فاضل بن مامين وماء العينين كنيته أي الاسم الذي اشتهر به في الأصقاع، فلم يكن له مثيل بعد الشيخ سيديا من خلال إقبال الناس عليه[2].وقد التقى بالسلطان مولاي عبد الرحمان في عام 1857م عندما كان قاصدا بيت الله للحج وعند عودته اتصل بالسلطان سيدي مُحَمَّد سنة 1858م، ثم بعد ذلك بالسلطان الحسن الأول الذي قدم له العون في حملته ضد الأطماع الاسبانية في المنطقة سنة 1886م وقد تتلمذ على يده السلطان مولاي عبد العزيز.

وفي سنة 1874م أنشأ الشيخ ماء العينين زوايا بمراكش وكذا بفاس سنة 1896م وكذلك في الجديدة وأطوير وتينزنيت وطرفاية بالمغرب وقد كانت الزاويتان هما الرئيستين في كلاًّ من السمارة بالصحراء وأطار بآدرار من بلاد شنقيط[3].

تتلمذ على يد الشيخ ماء العينين جمهور غفير من الطلاب، وقد تخرج على يده عدد كبير من كبار العلماء في الشريعة، فكانت حلقات التدريس والتربية عند الشيخ ماء العينين ممتلئةطوال السنة بالطلاب الذين جاؤا من مختلف بقاع العالم، فلم يكن يفرق بين البدوي والحضري كما كانت حلقات الذكر تحتوي أعداداً هائلة من المريدين العاكفين على ذكر الله[4]، وقد أخذ عن ماء العينين الشيخ المجتبي بن خطري البصادي[5].

---

[2]الشيخ ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين: دليل الرفاق على شمس الاتفاق، تح: اليلعمشي أحمد يكن، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطابع، فضالة، المحمدية، 1982،ج1، ص7.

[2]مُحَمَّد الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط1، د.ن، د.م، 1339هـ، ص360.

[3]الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجعالسابق، ص281

[4]الشيخ ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين: المرجع السابق، ص11.

[5]الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع نفسه، ص122.

ب- موقف الشيخ ماء العينين من نازلة الاستعمار: احتل الفرنسيون موريتانيا مع بداية القرن العشرين إلا أنهم واجهوا مقاومة شديدة من القبائل الموريتانية كافة وخاضوا معهم الكثير من المعارك منها: رأس الفيل التي قتل فيها أمير تكانت[1].

وكان الشيخ ماء العينين من بين هؤلاء الرافضيين للاستعمار الفرنسي وهو أيضا من زعماء الطريقة القادرية [2]حيث أعلن الشيخ رحمه الله جهاده لإعلاء كلمة الله والدفاع عن الوطن ضد أعداء الله وبشتى الطرق، وجهر بذلك في أواسط القبائل الصحراوية فبدأ يجوب كل منطقة وهو يقول: الجهاد، الجهاد أيها المسلمون ضد أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام الذين يتربصون بكم ويوطنكم الدوائر، عليهم دائرة السوء، فاجتمعت من حوله كل القبائل معلنة موقفها المؤيد له على رفع راية الجهاد معه وسعيهم إلى الاستشهاد في سبيل الله[3].

ويبدو لنا مما سبق أن الشيخ ماء العينين قد صرح علانية بعدم موافقته على دخول النصارى بلاد موريتانيا،وهذا من خلال دعوة القبائل الصحراوية إلى الجهاد معه ضد أعداء الله ورسوله وكذا ضد أعداء وطنهم،وبهذا الأسلوب الذكي الذي اتبعه ماء العينين استطاع أن يجمع مناصرين له ومن مختلف الأمصار، وبذلك شن حرباً لا هوادة فيها على الفرنسيين.

ولما أرادت القوات الفرنسية التوغل في آدرار لقيت مواجهة عنيفة من طرف الشيخ ماء العينين وأتباعه المتحالفين معه وكان ذلك في عام 1905م تحت زعامة كوبولاني الذي خسر عدداً كبير من رجاله، كما لقي هو الآخر حتفه في نفس السنة، هذه الحادثة قلبت موازين الأحداث حيث اتهمت السلطات الفرنسية الشيخ ماء العينين بأنه هو الرأس المدبر لهذه المكيدة وصمموا على متابعته[4].

وحتى تتمكن السلطات الفرنسية من استمالة الشيخ ماء العينين الى صفهم أوكلت مهمة إقناعه إلى أخيه الشيخ سعد بوه الذي وقع في شباك هؤلاء النصارى، لكن الشيخ ماء العينين رفض

---

[1] إبراهيم الفاعوري: تاريخ الوطن العربي، ط1، دار الخامد، عمان، 2011، ص392.

[2] علي بدوي علي سالمان: المرجع السابق، ص105.

[3] الشيخ ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين: المرجع السابق، ص13.

[4] عبدا لله عبد الرزاق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، (د.ط)، مكتب مدبولي، القاهرة،1 محرم 1410هـ/ 1 أوت 1989م، ص132.

أي علاقة تربطه بالنصارى ووجه إلى باحماد (وصي السلطان المغربي) رسالة يخبره فيها بأن فرنسا تسعى دائما إلى جعله مواليا لها وهو يرفض ذلك وهذا جزء من هذه الرسالة: "...وليكن في كريم علمكم أنهم لعنهم الله كثيرا ما يطالبونني بالعهد معهم وأنا أمتنع من ذلك إلا إذا كان على أيديكم..."[1].

ومن هنا نلاحظ أن الشيخ ماء العينين قد اتخذ موقفا معادياً للسلطات الفرنسية وذلك من خلال رفضه لتوجيهات أخيه سعد بوه وإغراءات الحكومة الفرنسية، وكذا إثباته الولاء للسلطان المغربي.

تمكن الشيخ ماء العينين من تأمين حاضرة جمع فيها المقاومين من بني حسان بالإضافة إلى مقاومين من زوايا أخرى وقاد القوات المعارضة للاستعمار، فقد كان مناهضا لأولئك الذين قبلوا واستسلموا للعدو الفرنسي ورأى أن الجهاد ضد الكفار ورد في كتاب الله، لذا فهو يرى أن دخول الفرنسيين إلى موريتانيا لا مسوغ شرعي له خاصة وأنه لم يصدر قرار من السلطان ولا من مسلم له القدرة على ذودهم، فمن هنا وجب مقاتلتهم باعتبارهم تسلطوا على الذين لاقدرة ولا حول لهم على مواجهتهم[2].

وقد استطاع ماء العينين من خلال سياسته الرشيدة المتمثلة في جمع المقاومين وحثهم على الجهاد واستثارة هممهم أن يكون حصناً منيعاً لمواجهة الهيمنة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا.

وعلى ضوء هذه الأحداث بعث الشيخ ماء العينين رسالة الى جماعة الرقيبات يحثهم فيها على محاربة وغزو النصارى قبل أن يغزوا هم عليهم. فهم بغزوهم هذا يتبعون ما أمر به الله خاصة في ما يتعلق بالجهاد في سبيل تحرير الوطن من براثين العدو المغتصب للأرض، وحذرهم من أكل أموال الناس بالباطل[3].

ولما أكد الشيخ ماء العينين مبايعته للسلطان المغربي كلفه هذا الأخير بقيادة الجهاد في الصحراء خاصة لما انضمت إليه قبائل الشوكة، وهكذا كاتب الشيخ ماء العينين كافة زعماء القبائل

[1] مجموعة من المؤلفين(المجلس البلدي لمدينة تزنيت):المرجع السابق،ص79.

[2] علي بدوي علي سليمان:المرجع السابق،صص105- 106.

[3] يحيي ولد البراء:المرجعالسابق،مج7،ص2914.

وطالبهم بحمل السلاح والجهاد وأعطاهم وعدا أن السلطان سيمدهم بالأسلحة والذخيرة لمواجهة الاستعمار[1].

وقد وجه الشيخ ماء العينين نداء من معقله بمدينة السمارة إلى سكان موريتانيا وكافة مشايخ الطرق،حيث أرسل مبعوثين جابوا كافة أنحاء موريتانيا يشجعون السكان على الحرب ومؤازرة السلطان المغربي فاستجاب له كلُّ الأمراء والولاة، فاتجه بعدها إلى المغرب لتنسيق الخطة مع الحكومة المركزية ومن بينهم أمراء الترارزة والبراكنة وتكانت والحوض، فقدم لهم السلطان المغربي المعونة المتمثلة في الذخيرة الحربية والجند وأعطى قيادة هذا الجيش إلى عمه المولى إدريس وقد نوه عليهم بإعطاء إنذار الى جيش الاحتلال بمغادرة موريتانيا أو مواجهة الحرب ضدهم[2].

لقد خاض الشيخ ماء العينين جهاداً عنيفاً ضد الاحتلال الفرنسي وذلك عن طريق تعبئة سكان المناطق وتحريض شيوخ القبائل الموريتانية،وضم صوت الشعب الموريتاني إلى صوت الحاكم المغربي الذي دعمهم بالسلاح والمؤونة ومد لهم يد العون عن طريق عمه المولى إدريس الذي وجه إنذاراً لجيش الاحتلال الفرنسي،وهذا ما يدل على العلاقة الطيبة التي تربط الشيخ ماء العينين بالحكومة المغربية.

ولما اجتمعت هذه الوفود الكبيرة من القبائل في السماره بحضور الوفد المخزني الذي طالبهم بالتعاضد والجهاد ومساندة خليفة السلطان، وبلقاء السمارة حصل الشيخ ماء العينين على شرعية الزعامة المحلية، وسيكون لهذا التعاون بين ماء العينين والسلطان المغربي أثر كبير في نفوس وأوساط الفرنسيين الأمر الذي جعل وكيل الحكومة العامة بموريتانيا يبعث رسالة إلى "روم" الحاكم العام لمستعمرات إفريقيا الغربية يخبره بأن التعاون الذي وقع بين ماء العينين والقبائل بإيعاز من الحكومة المغربية في السمارة سيشكل خطرا على خططهم من أجل مواصلة احتلال ما تبقى من موريتانيا فهم قد اجتمعوا تحت قيادة موحدة مدعمة بأسلحة جديدة انطلاقا من طرفاية ووادي نون[3].

---

[1] علي بدوي علي سليمان:المرجع السابق،ص107.

[2] قاسم الزهيري:مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية الموريتانية،تق:عبد الهادي التازي،(د.ط)،الهلال العربية،(د.م.ن)،2013م،ص41.

[3] حليمة بوعلام وفتيحة برقوق:دور الشيخ ماء العينين في مواجهة الاستعمار الفرنسي في منطقة جنوب موريتانيا خلال القرن 19م من 1900إلى 1916م،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص دراسات إفريقية، إ.ش:حبيش،جامعة الجيلالي بونعامة،خميس مليانة،2014-2015م،صص78- 79.

وفي أثناء حكم السلطان مولاي عبد الحفيظ توطدت العلاقات بشكل كبير بين سكان الصحراء والمخزن المغربي، بحيث شكل وفد من قبائل الصحراء برئاسة الشيخ ماء العينين سنة 1907م متجهين إلى مراكش بغية تجديد البيعة للسلطان ومطالبته بكميات من السلاح، وبمجرد أن عاد هذا الوفد الى بلاده شن هجوماً على المركز الفرنسي بأكجوجت سنة 1908م حيث تم قتل القبطان repoux وحوالي سبعة عشر جنديا، وهذا ما أثار حفيظة السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد الحكومة المخزنية فقامت بهجوم ضد القبائل في شنقيط فاحتلت آدرار سنة 1909م وذلك بقيادة حاكمها العسكري الكولونيل "gouraud " ، وعندما علم السلطان مولاي عبد الحفيظ بالحالة الحرجة التي أصبح فيها ماء العينين راسله وطلب منه الخروج من السمارة واللجوء الى مدينة تيزنيت حتى لا يتمكن الفرنسيون من القبض عليه، وبذلك ارتحل إليها[1].

ولما أدرك الشيخ ماء العينين أن السلطان مولاي عبد الحفيظ قد سيطرت عليه فرنسا وأصبح مواليا لها فهنا أيقن أنه بقي بمفرده ليواجه النصارى لذا ارتحل الى مراكش لينتقل الى فاس رفقة أتباعه، وأثناء تحركاته كشفته فرنسا ووضعت له فخا فاضطر ماء العينين لمواجهة القوات الفرنسية تحت قيادة الجنرال مونير هو وجنوده البالغ عددهم ستة آلاف جندي في قصبة تادالا في23 يونيه عام 1910م، إلا أن أنصار الشيخ ماء العينين تفرقوا وتركوه وحده يواجه مصيره مع الخطر الفرنسي الذي يدور به مما أدى به إلى الفرار باتجاه الجبال حيث اضطر الى بيع كل ما بقي معه[2].

على الرغم من المجهودات التي بذلها الشيخ ماء العينين في سبيل مواجهة الاستعمار الفرنسي،إلا أنه لم يستطع الوصول إلى مبتغاه؛ ألا وهو تحرير موريتانيا نظرا للظروف المحيطة به والتي من بينها ضغط السلطات الاستعمارية وتخلي أصحابه عنه،لتنتهي بذلك مقاومة الشيخ ماء العينين التي دامت حوالي ثماني سنوات.

بقي الشيخ ماء العينين يجاهد إلى أن جاء اليوم الموعود الذي سيرحل فيه الشيخ إلى لقاء ربه وهو يجاهد في سبيل تحرير موريتانيا بصفة خاصة والمغرب الأقصى أيضا، ولكن نجد أن الروايات تختلف حول وفاة هذا الشيخ الفاضل فهناك عدة روايات:

[1] مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ص ص81- 83.

[2] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم:المرجع السابق،ص134.

تشير الرواية الأولى أنه في سبتمبر 1910م أصيب الشيخ ماء العينين بمرض خطير فانتقل إلى زاويته في تيزنيت وبعد شهر تقريبا مات الشيخ ماء العينين في هذه الزاوية في 28 أكتوبر 1910م ونجح الفرنسيون في مهاجمة سمارا وأحرقت مكتبته القيمة [1]،في حين تشير الرواية الثانية أنه توفي رحمه الله في ليلة الجمعة سنة 1910م في الجنوب المغربي بمدينة تيزنيت من سوس الأقصى، وفي رواية أخرى توفي ليلة السبت 21 من نفس السنة بعدما صلى مع الناس فهو لم يكن يشتكي من أي ألم ولا مرض قبل وفاته[2].

ظنت فرنسا أن بوفاة الشيخ ماء العينين أحرزت نصرا كبيراً، ولكن لم تدرك أن هذا الشيخ الفاضل قبل أن يتوفى عمل على تعليم وتثقيف أولاده وعشيرته العلوم المختلفة، وأخبرهم بأن خطر العدو لا يزول بالاستكانة والاستسلام له أو الركون إلى مقولة بعض أصحاب النفوس الضعيفة القائلة بأن: الاحتلال الفرنسي لموريتانيا ما هو إلا قضاء وقدر ولا بد علينا أن نؤمن بذلك ونستسلم له حتى يخرج وحده.

وقد خلف الشيخ ماء العينين رجالاً في الجهاد والتصدي للعدو وأكملوا ما أراد وساروا على نهجه، ومن هؤلاء الشيخ مُحَّد الهيبة، الشيخ مربيه ربه والشيخ النعمة والشيخ ماء العينين بن الشيخ الحسن[3].

2. الشيخ حماه الله التشيتي وموقفه من نازلة الاستعمار:

أ- نبذة عن حياة الشيخ حماه الله التشيتي:

ولد الشيخ حماه الله عام 1882م من أب عالم ومتدين، فقد كان مطبقا لأصول الدين فهو ينتمي الى قبيلة أهل مُحَّد سيد أشريف التشيتي في موريتانيا وفي أثناء تنقل والده إلى كمبا سيكوا في نيجيريا حيث التقى بآسيا جلوا وتزوج بها وهي والدة الشيخ أحمد حماه الله وتنتمي إلى قبيلة أفلان أي الفلان[4]، ولد الشيخ حماه الله سنة 1882م في وسط تيجاني، عندما بلغ سن الشباب انخرط في حلقة الشيخ مُحَّد بن عبد الله الأخضر، هذا الأخير سرعان ما اكتشف الصفات المميزة في

[1] عبد الله عبد الرزاقإبراهيم:المرجع نفسه،ص135.

[2] الشيخ ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين:المرجعالسابق،ص14.

[3] يحيي ولد البراء:المرجعالسابق،مج7،ص248.

[4] المختار ولد مُحَّد:الطرق الصوفية في موريتانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص129 .

شخص حماه الله وهي نفس المواصفات التي حددها له شيخه بوطيبة في الشخص الذي سيبلغه بالأمانة من بلاد تلمسان[1].

فقد قام الشيخ سيدي مُحَمَّد بتلقين حماه الله أوراد أحمد التيجاني عن طريق الشيخ سيدي الطاهر فتم إخضاع حماه الله الى مجموعة من الألغاز من طرف الشيخ سيدي مُحَمَّد الأخضر فاستطاع حماه الله أن يحلها وبهذا كشف له هذا الشيخ عن جميع الأسرار التي كان يحتفظ بها في صدره حول الطريقة التيجانية* وكان عمر حماه الله آنذاك تسعة عشر سنة[2].

لقد كان الشيخ حماه الله من أتباع الطريقة الحمالية بل والتي نسبت إليه وقد انشقت هذه الطريقة عن الطريقة التيجانية فقد كانت الطريقة الحمالية في بدايتها عبارة عن حركة ثورية قامت على يد الحاج عمر الفوتي التكروري، ويتجلى هدف الشيخ حماه الله من طريقته الجديدة في إعادة إحياء طقوس الطريقة التيجانية وإرجاعها الى وضعيتها التي تركها عليها مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني.

صحيح أن الحركة الحمالية سميت نسبة الى الشيخ حماه الله إلا أنها تأسست على تعاليم الشيخ مسلم توات*[3]، وفي مطلع القرن العشرين تشكلت هذه الطريقة في شرق شنقيط وغرب السودان ومن خلالها امتد نفوذ الشيخ حماه الله على مناطق واسعة من بلاد شنقيط الى مالي وساحل العاج وغينيا وغيرها من المناطق الأخرى[4].

تلقى الشيخ حماه الله في المدينة تعاليم الطريقة على أيدي سيديه مُحَمَّد الأخضر وعندما توفي هذا الأخير عمل حماه الله على تأسيس طريقته الجديدة وفقا لأسس اجتماعية ودينية، وقد طالبه

---

[1] يحي ولد البراء: المرجعالسابق، مج:1، ص ص366 - 367.

*هي من الطرق الدينية الصوفية التي كان لها تأثير كبير وكان لها نفوذ قوي في البلدان الواقعة على الشواطئ الجنوبية للصحراء، تأسست على يد أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المختار التيجاني(1150- 1230هـ)

[2] المختار ولد مُحَمَّد: الطرق الصوفية في موريتانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص77.

*اسمه سيد مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله المعروف باسم الشريف الأخضر الذي قد انضم إلى التيجانية عن طريق مقدم الطريقة في تلمسان توفي 1909 بأنيور. ينظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ص ص 122-123.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم:المرجع السابق، ص 122.

[4] الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص12.

الحاج مالك سي من السينغال في عام1911م أن يلتزم بتعاليم الطريقة التيجانية فكان الشيخ حماه الله من السامعين له فيما طلب حتى توفي مالك سي فعمل على نشر هذه الطريقة. كما تمكن من جمع أنصار لها في نيور وكابي و نيما و ولاتة وبعض المناطق في موريتانيا التي كانت على علاقة دائمة مع أنيور[1].

ب- موقف الشيخ حماه الله التشيتي من نازلة الاستعمار:

وعندما استتب الأمر لفرنسا في موريتانيا كان الشيخ حماه الله من بين العلماء الذين ناهضوا الاحتلال وحاربوه، حيث دعا الى الجهاد فالتفت حوله العديد من الأفارقة الذين لبوا النداء من مختلف الأقطار[2]، إلا أن المستعمر الفرنسي أبدى تخوفه من الشيخ حماه الله باعتباره خاض ضدهم نفس الجهاد الذي خاضهُ شيخاه سيدي بوطيبة التلمساني والشيخ عمر بن سعيد الفوتي[3]، فأعلن الشيخ حماه الله الجهاد بدون سلاح، وبدأ ينشر الدعاية ضد المحتل الفرنسي فأمر بتقصير الصلاة سنتين معتبراً البلاد في حالة حرب، وهذا ما أكده فرانسيس دوشي بقوله أن: "هناك تيارات دينية أثارت قلق السلطات الاستعمارية وخرجت على سيطرتها كالجماعة الغظفية* في آدرار وتكانت وأتباع الشيخ إبراهيم انياس في موريتانيا وأتباع الشيخ حماه الله"[4].

ويتضح لنا من كل هذا أن الشيخ حماه الله سعى الى العمل لاستمرارية الطريقة التيجانية وحمايتها من الاندثار، باعتبارها أحد وسائل مواجهة المستعمر متخذ منها سبيلاً للدعوة الى الله وتوعية الشعب إلى مخاطر الاستكانة لهذه السياسة الاستعمارية وما تخلفه من تدنيس للدين ومعالم الشخصية التراثية العربية الإفريقية الإسلامية، وقد عمد إلى أساليب عديدة كتقصير الصلاة والدعوة الى الجهاد لحماية السكان من التسلط الفرنسي.

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص123

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص266.

[3] يحيي ولد البراء: المرجع السابق، مج1، ص368

*هي طريقة صوفية شاذلية أول مشايخها الشيخ مُحَمَّد الأعظف ابن حمى الله بن سالم الداودي الجعفري (ت1218هـ/1803م) وعنه أخذها الشيخ المختار بن الطالب أعمر البصادي (ت: ق13هـ).ينظر حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا: العناصر الأساسية، منشورات الزمن، ع9، دار البيضاء، ص153.

[4] أمين مُحَمَّدو مُحَمَّدن: المرجع السابق، ص105الى107.

إن الشخصية القوية التي كان يتمتع بها حماه الله جعلت السلطات الاستعمارية يضعونه نصب أعينهم، فكما أورد بريفي مدير الشؤون الإدارية في أحد التقارير الصادرة بتاريخ 3ديسمبر1917م الذي وصف فيه شخصية حماه الله على أنه شخص متزن لا يهمه أمر فرنسا فهو قليل الكلام كثير الإصغاء، لا يشبه زملاءه فهو لا ينطق عبارة الموالاة لفرنسا، وبالتالي يذكر في نهاية هذا التقرير بأنه يجب عليهم مراقبته عن كثب وبطريقة سرية وذلك لكونه يعيش حالة عميقة من التصوف والتي ستشكل خطراً على فرنسا.

لقد كان الشيخ حماه الله لا يزور المراكز الفرنسية إلا بدعوة وبإلحاح شديد وذلك بشهادة حاكم أنيور، ففي إحدى المناسبات للفاتح من السنة الميلادية لم يقم الشيخ حماه الله بزيارته مما جعل الحاكم الفرنسي يستفسر عن سبب عدم حضوره لتهنئته فأجابه بصريح العبارة عن طريق أحد المترجمين: أنه يجهل الأعياد والمواسم الفرنسية[1].

وفي هذا الكلام دليل على مناهضة الشيخ حماه الله للوجود الفرنسي، فهو لا يعترف بهم كسلطة حاكمة، فهم في نظره أعداء الله ولا يجب الخضوع لهم لا بالقول ولا بالفعل فهو يرى بأن عدم التعامل معهم وتجاهلهم خيرٌ من التواصل معهم كونهم مخالفين لنا في الدين ولا ينبغي الصفح عنهم فهم أعداء الله ولا يجب الوثوق بهم لأنهم مخادعون ولابد من محاربتهم كونهم لم يأتوا مسالمين،ولذا فإن ديننا الإسلامي يأمرنا بمحاربة كل من جاء لقتالنا وسلب أرضنا منا، فالشيخ حماه الله لم يتخذ هذا الموقف من نفسه،بل اعتمد في تبرير موقفه على ما جاء في القرآن والسنة الشريفة.

وأثار موقف حماه الله السلطات الاستعمارية مما جعلها تتخذ إجراءات صارمة ضده مستغلة معارضة بعض الطرق الصوفية للطريقة الحمالية التي كان يتبعها، حيث أن أنصار الطريقة الحمالية والتجانية وقعت بينهم خلافات من سنة 1910م الى1924م، وكان هذا الصدام في السودان الغربي واستغلت فرنسا هذا الخلاف بسجن الشيخ حماه الله في موريتانيا لمدة خمس سنوات[2]في إليه وفدا من العلماء والمشايخ يتوسطون لهم عنده، وبحوزتهم أموال ليقدموها إليه إلا أنه رفض ذلك

[1] سيدنا علي ولد مومن ولد مولاي إسماعيل: المقاومة الفكرية والثقافة في الساحل الإفريقي: الشيخ أحمد حماه الله "نموذجا"، د.ن، د.م، د.ت، ص32 من هنا وهناك.

[2] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص124.

وبهذا فشلت كل مخططاتها الأمر الذي جعلهم يشتاطون غضبا منه فسعوا الى تهجيره الى أبعد نقطة لا يرى فيها مسلم[1] وهي بلاد ساحل العاج[2].

إن ترحيل الشيخ الى هذه المناطق لن يبقيه مكتوف الأيدي في مناهضته لهم وسيتخذ لنفسه مقاومة فكرية وثقافية وروحية، فقام بقصر الصلاة الرباعية لمدة عامين معتمدا على الآية الكريمة: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾[3] فهو يرى بأنه لا يأمن على نفسه وعياله وتلامذته بوجود المستعمر، ولما سمع الحاكم الفرنسي بما فعل الشيخ أرسل إليه وسأله غاضبا: " الشيخ حماه الله لماذا قصرت الصلاة الرباعية هل تحسب نفسك نبيا؟؟، قال الشيخ بهدوء وسكينة: أيها الحاكم الفرنسي قل لي من فضلك كم عدد الركعات التي تريد مني فرنسا أن أصليها؟، اندهش الحاكم الفرنسي من هذا الجواب الملزم وضرب الطاولة قائلا: هذا رجل يشكل خطرا على الأمن القومي الفرنسي"[4].

إن القوة الإيمانية التي كان يتحلى بها الشيخ حماه الله جعلته يكتسب ثقة وقوة كبيرة في نفسه،الأمر الذي جعله لا يكترث بالقوة الاستعمارية التي لم يعرف عليها إلا الطغيان والتجبر في الأرض،بل كان من الأشخاص الذين لا يكترون الكلام أو التبجيل للسلطات الفرنسية،فعلى رغم من قلة كلامه إلا أن كلامه كان أقوى من ضربة سيف على أعناقهم، فهو يقف أمام تكبر فرنسا التي ترى نفسها بأن لا أحد يستطيع مواجهتها بدون سلاح،وقد أثبت لها عكس ذلك، الآمر الذي جعلهم يتخوفون منه ويحسبون له ألف حساب.

فلما أوقفت السلطات الفرنسية الشيخ مقصرا للصلاةخاطبه الحاكم العسكري قائلا: "أليس في دينكم آية تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[5]، فأجاب الشيخ على الفور: لكنه لم يقل وأولي الأمر منهم، فهل أنتم منا؟ فبهت الذي كفر"[6].

---

[1] المختار ولد مُحَمَّد: الطرق الصوفية في موريتانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي،المرجع السابق، ص78.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي -14- التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص484.

[3] سورة النساء:الآية101.

[4] سيدنا علي ولد مومن ولد مولاي إسماعيل: المرجع السابق، ص37.

[5] سورة النساء:الآية 59.

[6] سيدنا علي ولد مومن ولد مولاي إسماعيل: المرجع نفسه ، ص 92.

حاول الحاكم الفرنسي أن يستدرج الشيخ حماه الله انطلاقاً من القرآن الكريم ظناً منه أن الشيخ حماه الله سيرضخ له بمجرد سماعه هذه الآية،ولكن الشيخ حماه الله كان أذكى منه فرد عليه بكل ثقة وثبات حتى تعجب الحاكم الفرنسي من جرأةالشيخ وقوة إيمانه.

بتحدي الشيخ حماه الله القوات الفرنسية عند رجوعه من منفاه، جعلها تقوم باعتقاله من جديد وقد سميت هذه المرة بالغيبة الكبرى والتي كانت في وهران؛ ثم إلى فرنسا بعدما سميت الأولى بالغيبة الصغرى، ولقد اختلفت الروايات حول وفاته بحيث يتفق أصحاب الشيخ حماه الله على أنه مازال حياً ولم يتوفَّ وقد اثبتوا ذلك بمقولته التي أخبرهم بها في مجالسه وهي الألفاظ و الأحاديث التي كان يطلقها أيام مجيئه من منفاه بساحل العاج، حيث أخبرهم بأنه سيغيب غيبة أخرى قد تطول حتى يقول الناس أنه توفي ولكنه سيعود الى داره في أنيور بعد هذه الغيبة[1].

في حين يقول آخرون أنه توفي في فرنسا بعدما اشتد عليه المرض وكان ذلك في 28 نوفمبر 1942م في مستشفى مونلصون، بحيث انتقل الى جوار ربه في 16يناير 1943م، وفي 19 يناير طلب ممثلو البعثات الإسلامية من السلطات الفرنسية أن ترخص لهم الصلاة على جثمانه الطاهر وتمت عملية الدفن في مقبرة مونلصون وتكتمت فرنسا على مجريات الأمور[2].

وعليه فإن الشيخ ماء العينين والشيخ حماه الله قد كرسا الغالي والنفيس لمواجهة السلطات الفرنسية وعملوا على تنوير عقول الموريتانيين، وشحذوا هممهم للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية بكل وسائلها الخبيثة التي حاولت من خلالها طمس معالم الثقافة الإسلامية واللغة العربية في موريتانيا، ولكن فرنسا لم تكن تعرف أنها بتحجيمها لهؤلاء المشايخ ارتكبت بذلك أكبر خطأ في حياتها، فالمجتمع الموريتاني رغم بساطة سكانه إلا أن العلماء هم الوقود الذي يشعل شرارة المجتمع أو بعبارة أصح هم المحرك الأساسي للمجتمع، فموريتانيا تعتبر بلاد العلم والعلماء، فهو سلاحها الفتاك في وجه العدوان، وإن كانت آراؤهم ومواقفهم مختلفة فهدفهم واحد، لهذا جعلوا من محاضرهم أعمدة صامدة للغزو الثقافي الفرنسي لأهل البيظان.

وقد رأى بعض العلماء أن الهجرة من بلاد سيطر عليها النصارى أمر واجب كوجوب الجهاد، وذلك بسبب عدم قدرة أصحاب هذا البلد على الجهاد وقد أفتى الشيخ سيدي مُحَمَّد بن

[1] يحي ولد البرء: المرجع السابق، مج1، ص369.

[2] سيدنا علي ولد مومن ولد مولاي إسماعيل: المرجع نفسه ، صص97- 98.

حامني الغلاوي بأن الهجرة من بلاد فيها الحرب والسلطة فيها للكافر إلى دار الإسلام والتي فيها السلطة للمسلمين ويأمن المسلم، واجبة بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع على القادرين عليها،فهو يرى بأن تحريم الإقامة مع الكفار متفق عليه عند أهل القبلة المتمسكين بالكتاب والعزيز،فتحريم الإقامة مع النصارى كتحريم الله أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير وجه حق، ويعتبر أن من خالف هذا من أولئك الذين فضلوا البقاء في بلد فيه النصارى والركون إليهم، فهم خارجون من الدين ومخالفون لجماعة المسلمين[1].

ومن خلال هذه الفتاوى هاجر العديد من سكان موريتانيا إلى المغرب الأقصى وغيرها من البلدان الأخرى، وكان ممن هاجر إلى مراكش في تلك الفترة سيدي المختار بن سيدي الشيخ القاضي وبقي حتى توفي فيها سنة 1910م، وهو يعتبر ثامن المهاجرين من الرجال إلى مراكش وهناك ممن ارتحل إلى فاس أمثال مُحَمَّد الخضر ومُحَمَّد حبيب الله الذي حل بطنجة ضيفاً على السلطان عبد الحفيظ فأكرمه، ثم واصل المسير إلى الحجاز ومنها إلى مصر حيث توفي هناك سنة1944م، وقد كانت الهجرة الكبيرة التي انطلقت من الحوض سنة 1908 م، هي هجرة الشيخ مُحَمَّد الأمين بن زيني القلقمي الذي خرج على رأس 600رجل ترافقهم عائلاتهم، وقد تركوا أثراً طيباً في ليبيا والأردن وتركيا[2].

خلاصة الفصل الثاني:

وفي الأخير وكحوصلة عامة لهذا الفصل ومن خلال دراسة موقف بعض العلماء الموريتانيين من نازلة الاستعمار يتبين لنا أن كل الشيوخ سواء من قبل بالدخول الأجنبي أومن ناهضه قد أشاد بالدلائل والحجج من الشريعة، فهم كان همهم الوحيد مصلحة بلادهم. ونلاحظ أن الذين قبلوا بدخول فرنسا اتخذوا هذا الموقف لما رأوا من حالة السيبة التي عاشتها بلادهم في غياب سلطة حاكمة، أما الذين رفضوا دخول فرنسا كانوا يرون أن لا حكم لدولة نصرانية على بلاد المسلمين فأقبلوا عليهم بالجهاد، وأما المتحفظون ففضلوا هجرة البلد،كما حدث في بلدان أخرى بعد أن تغلّب عليها النصارى.

[1] يحي ولد البراء: المرجع السابق، مج7،ص2999.

[2] الخليل النحوي: شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص332.

ولقد كان هذا الاختلاف رحمة، فما وصلت إليه اليوم موريتانيا من نظام سياسي موحد لكل أراضيها يعود فضله إلى هذا الاختلاف، فقبول الدخول الفرنسي قد وحد القبائل وجمع شملهم ونسوا الضغائن التي بينهم فقاوموه مقاومة عسكرية وثقافية.

الفصل الثالث

المحاضر ودورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي

لقد كانت موريتانيا ولازالت مهدا للإشعاع العلمي الديني وغيره، فمنذ أن كانت عبارة عن بادية انتشر فيها العلم والعلماء وأصبحت المنطقة التي تستهوي القريب والبعيد، يلجأون لها للنهل من مختلف العلوم التي كانت متداولة بين أبنائها،فعلى الرغم من بساطة العيش والوسائل المعتمدة في إرساء دعائم العلوم،إلا أن موريتانيا كسبت مكانة مرموقة بين مختلف الأقطار المجاورة لها.

ويعود سبب انتشار هذه المعارف في موريتانيا إلى وجود ما يعرف بالمحضرة التي كانت المكان الحصين لتلقي العلوم الدينية والدنيوية،فتلقي هذه العلوم أصبح من المهام الأولى التي سيطرت على قلب الفرد الموريتاني، وكذا لفتت انتباه المحتل الفرنسي لما استولى على البلاد فسعى إلى تدليس وتحريف ما كانت تصبو إليه المحضرة، وهذا ما سنتناوله في دراستنا لهذا الفصل لنتمكن من معرفة الدور البارز الذي لعبته المحضرة في مواجهة الأفكار التي حاولت أن تنشرها فرنسا في وسط المجتمع الموريتاني.

المبحث الأول:المحاضر الموريتانية قبيل دخول الاستعمار:

1-مفهوم المحضرة ونشأتها:

أ-مفهوم المحضرة:

لغة: يتفق جل الباحثين على أن لفظ المحضرة مشتق إما من الاحتظار أو من الحضور والمحاضرة، فهي بذلك اسم لمجموعة من الحظائر يحيط بها الحي الذي يقطنون فيه هم وأنعامهم[1].

اصطلاحا: وينطق اسم (المحظرة) بالظاء، لذلك المقصود بها تلك الجامعة المتنقلة التي تدرس فيها مختلف العلوم مثل القرآن والسنة، علم المنطق، الفلك وغيرها من العلوم الأخرى، فهي عبارة عن مكان خاص يحظى بنوع من الاحترام والتقدير من طرف جميع أفراد المجتمع وفيها يلتقي طلبة العلم[2]،ولهذا تعتبر المحاظر فريدة من نوعها بحيث تكون عبارة عن بعض أحياء البدو الذين يرتحلون من ضفاف نهر السينغال إلى وادي الساقية الحمراء بحثا عن المراعي[3].

وقد صنفت المحاضر في موريتانيا إلى نوعين وهما:

---

[1] الخليل النحوي:بلاد شنقيط المنارة والرباط،المرجع السابق،ص5.

[2] يحي ولد البراء: المرجع السابق، مج1، ص 102.

[3] محمد المختار ولدأباه: الشعر الشعراء في موريتانيا،ط2،دار الأمان،1424هـ-2003م،ص29.

أ- **المدرسة القرآنية**: وتتمثل وظيفتها في تعليم القرآن للناشئين وتحفيظهم النص القرآني، إلا أنه لا يجب تصنيف هذا النوع من المدارس ضمن المحاضر وهذا نظرا لعدم تطابقها مع الاصطلاح المحلي الذي لا يجعلها تنطبق مع التعليم المحضري، وذلك لعدة نقاط منها: أنها تتميز بقراءة اللوح بالإضافة إلى أن برنامجها التعليمي قصيرٌ ويكون فرادا، والنقطة الأخرى أن جل المتعلمين في هذه المدارس صغار السن، فهذا النوع من المدارس منتشر بشكل واسع في موريتانيا فلا يكاد يخلو حي منها[1].

ب- **المحاضر**: لقد كان تصنيف المحاظر يعتمد على محتوى المادة العلمية التي يدرسها الشيخ وكذا حسب مؤهلاته العلمية ومستوى الطلاب العلمي وهي نوعان:

المحضرة الفقهية: كانت وظيفة هذه الأخيرة تدريس القرآن الكريم والفقه والعقيدة، فالشيخ فيها له القدرة على تدريس علوم الغاية (كالنحو واللغة) دون سواها، وهذا النوع هو الذي تنطبق عليه صفة المحظرة المتخصصة.

المحضرة الجامعية:وهذا النوع تدرس فيه أيضا علوم الغاية(التجويد، التفسير، الحديث، وأصول النحو...الخ) والآلة(الرياضيات والفلك)، بحيث يتولى التدريس في هذه المحضرة شيخ له عدة مشارب في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، فهي تعتبر من بين المحاضر التي أعطت لموريتانيا طابعاً ثقافياً[2]، وقد برزت في شنقيط محاضر ذات نزعات تخصصية ثلاثة فكانت محاضر شرقي البلاد (الحوض والرقيبة) وتشيت تصل إلى التعمق في الدراسات القرآنية من رسم وتجويد وتفسير وفروع الفقه المالكي. أما وادن و شنقيط وتجكجة فكانوا يهتمون بالحديث والفقه أصولا وفروعا بينما برزت أرض القبلة في الدراسات اللغوية والشعر، مما جعل أكثر اللغويين والشعراء الذائعي الصيت من هذه المنطقة[3].

---

[1] أمين مجمدو مُحَّدن:المرجع السابق،صص90-91.

[2] مُحَّدن أمين مُحَّدو:المحاضر الموريتانية مؤسسات لنقل المعارف،كراسك،مركز الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر،2016م،ص50.

[3] سيد أحمد ولد الدالي:شنقيط وإسهاماتها في الإشعاع الروحي والثقافي في المناطق المحيطة بها، مجلةالتنوير5www.almeshkat.net/books/archive/books/chnkit5-
PDF 11: 41 ; 2019/04/17;ص106

ب-نشأة المحضرة: تعود نشأة المحضرة في موريتانيا إلى قيام الدولة المرابطية في عام 1083مففي هذه الفترة بدأت شنقيط تعرف الإسلام ممارسةً وتثقيفاً، وأصبحت المعارف تدخل إليها عن طريق القوافل فعلى الرغم من صعوبة الظروف وعزلة البلاد وعدم استقرارها بسبب حالة السيبة التي كانت تعاني منها في تلك الفترة، إلا أن معالم البنية الثقافية فيها بدأت تتبلور بشكل واضح في القرن 11م، والتي تجسدت في ما يسمى بالمحاضر البدوية أو الجامعات المتنقلة[1]، ونلاحظ أن المدارس في غرب إفريقيا بصفة عامة قد ارتبطت بالدين ارتباطاً شديداً باعتباره هو النواة الأولى للتعليم في هذه المناطق، فقد كانت المدارس في تلك الفترة تلحق بالرباط*. وتشير جل المصادر إلى أن عبد الله بن ياسين* هو المعلم الأولى الذي كان يدرس الشريعة ويقرئ الكتاب والسنة حتى أصبح حوله الفقهاء، حيث رتب لهم أوقات للمواعظ[2].

ومن خلال هذا يمكن أن نقول بأن ظهور المحاضر كان له علاقة وثيقة بانتشار الدين الإسلامي في تلك الأصقاع، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى قوة انتشار الإسلام في القارة الإفريقية بصفة عامة وموريتانيا بصفة خاصة، وخير دليل على ذلك أنه لا تخلو محضرة في موريتانيا من تعليم القرآن الكريم، وتحفيظه للأطفال وتنشئتهم على مبادئ وأخلاق الدين الحنيف والإقتداء بالرسول ﷺ.

وتجدر الإشارة إلى أن المحضرة في موريتانيا قد مرت بعدة مراحل أثناء وجودها ولذا نجدها قد مرت بثلاثة أطوار وهي:

---

[1] مباركة بنت البراء (باته):الشعر الموريتاني الحديث من1970إلى1995مدراسة نقدية تحليلية،(د.ط)،من منشورات اتحاد الكتاب العرب،1998م،ص14.

*الرباط:هو المكان الذي كان المرابطون يقيمون فيه للتعبد والتعليم.

*عبد الله بن ياسين: هو عبد الله بن ياسين الجزولي إمام المرابطين ولد ونشأ في منطقة السوس الأقصى لم تشر المصادر إلى مولده، ولكنه كان في نحو 430هـ/1038م،حيث استشهد في سنة 451هـ/1059م. للمزيد حول هذا الفقيه ينظر: أحمد سالم ولد محمدو وآخرون: تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال، طبع بالتعاون مع المدرسة القومية للإدارة، تونس،1997 م، ص51.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ-515هـ-1038م-1121م: مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م، ص167.

أ–طور التأسيس والانتشار: وترتبط هذه المرحلة بقدوم الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي (ت1025م) إلى موريتانيا التي أنشأ فيها أول رباط حيث كان بمثابة البذرة الأولى للمحاضر فقد كان يدرس فيه القرآن الكريم فقط، ولم يتوقف التعليم داخل المحاضر بوفاة عبد الله بن ياسين بل تواصل حتى بعد استشهاده فقد تولى هذه المهمة كل من العالمين الإمام الحضرمي (ت1096م) والإمام إبراهيم الأموي (ت1107م)، وبهذا انتشر التعليم المحضري في المدن والحواضر حتى نهاية القرن العاشر هجري، خاصة في كل من:شنقيط، ودان، تشيت، ولاتة[1].

ب–طور التنوع والازدهار: لقد حظيت المحاضر بنوع من التطور والازدهار، خاصة عندما انتقلت إلى البادية وقد تواصل هذا الازدهار حتى القرن الحادي عشر الهجري، في حين نجد أنها ازدهرت بشكل كبير خلال القرنين 13هو14هـ، على رغم من التراجع الذي أصابها بسبب الحروب الأهلية هناك.

ت–عصر التراجع والانحصار: ونقصد بها تلك الفترة التي تراجع فيها الاهتمام بالمحضرة وذلك عندما جاء المحتل الفرنسي للبلاد الموريتانية، وسعى إلى إنشاء مدارس حديثة لمواجهة المحاضر ومحاولة إبعادها عن الهدف الذي أنشئت من أجله، وأضحت المدارس الفرنسية تزداد قوة وانتشاراً حتى بعد الاستقلال[2].

على ضوء هذا نجد أن المحاضر قد ساهمت منذ ميلادها في نشر الإسلام والمحافظة عليه، فقد كانت بمثابة الدعامة الأساسية التي جعلت السكان في موريتانيا يتمسكون بالقرآن الكريم ويحافظون عليه أكثر من أي شعب أو مؤسسة تعليمية أخرى، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.[3]

---

[1]الداي ولد أبوه:ظاهرة المحاظر ودورها الإشعاعي والثقافي في موريتانيا(محاضر وسط وشمال تكانت نموذجا)،ندوة المجاهد مُحَّد المختار ولد حامد المقاومة في الرشيد، يومي: 2013/80/17/16م، الرشيد لترقية والتعليم والتراث والتعليموالسياحة، .2015/01/10م، ص12.1: 12; 2019/04/17; https://www.facbook.com

[2]الداي ولد أبوه: المرجع السابق، ص1.

[3]سورة الحجر:الآية 9.

2-الشيخ ودوره في المحضرة:قبل الحديث عن الدور الذي لعبه الشيخ الموريتاني داخل المحضرة لابد علينا أن نعرف ما المقصود بكلمة الشيخ الذي كان بمثابة المحرك الأساسي في المحضرة بصفة عامة وموريتانيا بصفة خاصة.

وعليه يعتبر الشيخ ذلك الشخص الذي تعتمد عليه الحضرة أو الزاوية، فهو المربي والمرشد كما أنه هو المسؤول عن إبقاء مكانته ضمن إطار ديني منتظم، وله دور بارز في الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، لذلك نجد أن أغلب المتصوفة ذهبوا في كتبهم إلى تحديد الشيخ الذي يجب الإقتداء به؛ وكذلك تبين الطرق اللائقة التي ينبغي على الفرد أن يتعامل بها مع الشيخ، كونه هو خليفة النبي في قومه، فعلى الرغم من اختلاف المشارب والأوراد التي يعتمد عليها هؤلاء المتصوفة إلا أنهم قد اتفقوا كلهم في كيفية التعامل مع الشيخ فكثيراً ما نجدهم يرددون عبارة: "من لاشيخ له فالشيطان شيخه"، فها هو الشيخ ماء العينين يخبرنا من خلال مقولته عن المكانة التي يتبوأها الشيخ الموريتاني داخل مجتمعه وهي: "الشيخ في قومه كالنبي في أمته. وبما أن للولد حقوقاً على والده فكذلك الشيخ له حقوق على مريديه"[1].

وعلى ضوء هذا نجد الشيخ أحمد حماه الله قد عرَّف الشيخ لمريديه من خلال قوله: "أن كلمة الشيخ تتألف من ثلاثة أحرف: شين: شاكر لنعم الله تعالى، والياء: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والخاء خائف من مكر الله تعالى"، فمن هنا يرى أنه من توفرت فيه هذه الخصال يمكن أن نسميه شيخاً بالمعنى الأصح[2].

ومن خلال هذا نجد أن الشيوخ في موريتانيا كانت لهم مميزات تجعلهم يختلفون عن باقي السكان هناك، فغالبا ما يكون الشيخ على مستوى عال من العلم حتى قيل أن بعضهم كانوا لا يردون لوحا، أي أن الشيخ في المحضرة باستطاعته أن يدرس كل العلوم، كما أنهم كانوا يعتمدون في الحفظ على الذاكرة، وهذا مردّه إلى حياة التنقل والترحال التي صبغت المجتمع الموريتاني آنذاك، الأمر الذي جعل من الصعب حمل الكتب وترحيلها معهم، ولا زالت هذه الظاهرة عند علماء موريتانيا، فها هو المرحوم مُحَمَّد يحي بن الشيخ الحسن كان له ذاكرة قوية مكنته من حفظ صحيح

[1] يحي ولد البراء:المرجع السابق،مج1،ص:118.

[2] يحي ولد البراء: نفسه،مج1،ص.ص:119.

البخاري بأسانيده عن ظهر قلب، فخصال الشيوخ الموريتانيين لم تتوقف عند هذا الحد لهذا نجد الشيخ الواحد يجمع بين مهمتين هما أنه غالبا ما تجد الشيخ معلما ومربيا صوفيا في نفس الوقت[1].

وبالتالي فإن الشيخ في موريتانيا له من الميزات ما يجعله يختلف عن كافة السكان هناك إلا أنه كان بسيطاً ومتواضعاً بين أهله وعشيرته، وهذا ما يدل عليه شكله فكثيراً ما تلتقي بشيخ يبدو من خلال مظهره أنه بدوي كسائر سكان الحي، فهو لا يختلف عنهم سوى أنه يلتقي أمام بيته عدداً من الشباب قد يقل أو يكثر عددهم بحسب الأزمنة، وعادة ما يجتمع هؤلاء الشبان تحت الأشجار وفي عريش من خشب وثمام* يعيدون بناء هذا العريش كلما ارتحل آل الشيخ من مكان إلى آخر، وبعدها يجتمع التلاميذ بالشيخ ويتسابقون في الدراسة بحيث تجدهم يقرأون النص تارة شعبا وتارة أخرى فرادى، كما أن الطالب له الحرية في اختيار المادة التي يريد تعلمها ثم يحدد بعدها المقرر الذي يتماشى ومستواه وكذا الدرس الذي بمقدوره استيعابه، في حين يتمثل دور الشيخ في تفسير نص من مختصر خليل ثم ينتقل إلى باب من ألفية ابن مالك في النحو ثم يتناول بعده درساً في التوحيد من النظم سواء أبيات من معلقات امرئ القيس أو غيرها، وهكذا يستمر إلى أن يحط الليل بظلامه عليهم فتسمع أصوات الطلبة تتعالى بالتكرار والمناظرة في الاستذكار[2].

ويجب أن ننوه بأن دور الشيخ أو مهامه في المحضرة لا تقتصر على التدريس فقط، بل هناك أدوار أخرى يقوم بها الشيخ وهي: الإمامة، التربية الروحية، كما أنه يتولى مهمة القضاء والإفتاء، بل نجد بعض المشايخ قد تقلد مهام سياسية كمستشارين عند بعض الأمراء، ووسطاء في الحروب والنزاعات القبلية، كما تولى بعضهم أدواراً عسكرية ضد النفوذ الفرنسي في المنطقة، إضافة إلى هذا أن بعض المشايخ كانوا يمولون المحضرة ويقدمون الدعم المادي من ممتلكاتهم الشخصية سواء من إبل أو أبقار، كما أنهم يكفلون حاجات طلبتهم الغذائية والدليل على هذا ما شاهده أحد الفرنسيين عند الشيخ أحمد يزيد بن حياني الذي كان يقدم مساعدة ل100 طالب وذلك من ممتلكاته الخاصة، لكن عندما يزداد عدد الطلبة يصبح كل طالب جديد ملزماً بإحضار بقرة أو

---

[1].سيد أحمد ولد الداي:المرجع السابق،صص105- 106.

*عشب من فصيلة النجيلية يسمو إلى مائة وخمسين سنتيمتراً، فروعه مزدوجة متجمعة، والنورة سنبلة مدلاة ومنه الثَّمام السنبلي ويسمى الدُّخن في السودان.ينظر:معجم المعاني عربي عربي، ar-ar/ dict/ .
https//www.almaany.com,2019/06/03,21 :50.

[2]محمّدالمختارولد اباه:المرجع السابق،صص،29-28

بدنة معه ليساهم بها في الدخل المعيشي للمحضرة، فنجد أن الكثير من الطلاب الذين يعرفون ب(المؤبدين)* يعتمدون على هذا النفع المعيشي[1].

وعليه يمكن أن نقول بأن الشيخ كان له دور بارز في نشر العلوم بمختلف أنواعها خاصة تحفيظ القرآن الكريم الذي كان يعتبر المادة الرئيسية في كل المحاضر بموريتانيا، كونه الدعامة الروحية فيها لهذا نجد معظم الشيوخ إن لم نقل كلهم سعوا إلى تثبيت دعائم العلم في البلاد وذلك من خلال تسخير ممتلكاتهم في سبيل أن يلقى الطلبة الراحة النفسية والمادية.

المبحث الثاني: المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي من خلال المحضرة

1-السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا:

يقول المفكر المغربي مُحَمَّد عابد الجابري عن السياسة التي اتخذتها فرنسا للاحتلال الكلي على مستعمراتها: "إن فرنسا استخدمت الثقافة وسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية ثم لترسيخها ثانيا" فالوسيلة التي استعملتها للتسلل إلى أراضيها تمثلت في البعثات التبشيرية والرحلات والاستكشافات والإرساليات التعليمية وكذلك الإستشراق وكل ذلك عن طريق دراسة المنطقة من كل النواحي ثم السيطرة عليها، وعندما يتم ذلك يبدأ نظام تثبيت الاستعمار وترسيخ مبادئه عن طريق غرس نظام تعليمي يقوم بنشر ثقافة المستعمر ولغته وتاريخه وآدابه ومظاهر حضارته مع طمس ومحو ثقافة الشعب المستعمر[2].

بعدما علمت فرنسا أن المعرقل الأساسي لتحقيق هيمنتها على موريتانيا هو العامل الديني، بحيث أن المجتمع الموريتاني متشبث بدينيه الإسلامي ومن الصعب زحزحة قوة إيمانه عمدت إلى سياسة التعليم الفرنسي التي ستؤدي الى ظهور وعي سياسي، وهدفت إلى طمس الشخصية الثقافية مقابل إظهار عظمة أوروبا وثقافتها، وعلى هذا النحو كانت أهداف السياسة التعليمية الفرنسية تتمحور فيما يلي:

---

[1] حسنة الغامدي، طارق لعجال: التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط، دراسات في التاريخ والمناهج، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، ع5، جامعة الشهيد حمد لخضر، الوادي، ماي2010، ص.ص20 من هنا وهناك.

*المؤبدين: هم الطلبة الفقراء الذين لا يملكون ما يقدمونه لضمان معيشتهم طول مدة الدراسة: المرجع نفسه، ص31.

[2] مُحَمَّد المحجوب ولد ابيه:المرجع السابق، ص254.

أ–التمدين: رأت فرنسا أن إفريقيا تشتمل على الشعوب المتوحشة التي لابد من تمدينها لتحقيق أغراض المستعمر، غير أن السياسة الاستعمارية في مجال التعليم كانت سلبية إلى حد ما على الشعوب المستعمرة حيث قامت بهدم القيم الإفريقية التقليدية بواسطة المدارس، واتجه تعليم التاريخ والجغرافيا إلى البرهنة على أن فرنسا أمة غنية، وقوية قادرة على أن تصون هيبتها، وعظيمة لنبل أفكارها، ولم تتراجع في تقديم تضحيات مادية وبشرية لتحرير الشعوب المغلوبة على أمرها أو من أجل إتيان فوائد الحضارة بواسطة توفير الأمن للشعوب المتوحشة[1].

ب–التفرنس (الفرنسة): ويهدف إلى القضاء على اللغة العربية وإحلال مكانها اللغة الفرنسية وجعلها إجبارية في المدارس الاستعمارية، واللغة الرسمية في التعليم كما جاء في مرسوم 10 ماي 1924، بحيث يمنع المعلمين من التحدث باللهجات المحلية مع تلاميذهم.

ت–الانتقاء: وهو انتقاء بعض الأطراف وتكوينهم حسب حاجات الحياة الإدارية والاقتصادية للبلاد المستعمرة، وذلك من أجل تعويض النقص العددي الأوروبي في مؤسسات الإنتاج مع تزايد الطلب[2].

عملت فرنسا بشتى الوسائل لإحكام القبضة على موريتانيا وواجهت المحاظر التي كانت تمثل حاجزاً أمام هدفها لاحتلالها موريتانيا، فعمدت إلى سياسة ماكرة تهدف الى القضاء عليها نهائيا وتعويضها بالتعليم في المدارس وقد صنفت هذه المدارس إلى ثلاثة أصناف رئيسية:

أ–التعليم في المدرسة القروية: ويكلف بالتدريس فيها معلمون من الأهالي يدرسون مبادئ اللغة الفرنسية والحساب[3].

ب–التعليم في المدرسة الجهوية: يوجد مقرها بعاصمة الدائرة وتقوم باستقبال جميع تلاميذ الدائرة لكنها تقوم بالاكتتاب على أساس النوعية، وتتوفر علاوة على الأقسام التحضيرية الأساسية على تعليم متوسط يؤدي الى التحصيل على شهادة الدروس الابتدائية.

[1] محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق، ص86.

[2] عفاف عباس: المرجع السابق، ص ص166-167.

[3] محمد الراظي بن صدفن: المرجع نفسه، ص88.

ت–التعليم في المدارس الحضرية: مقرها في عاصمة المستعمرة وفي مراكزها الحضرية المهمة حيث يتواجد الأوروبيون بكثرة وتقدم لأبناء الجالية الأوروبية تعليما خاص يختلف عن برامج التعليم بفرنسا يؤدي إلى شهادة الدروس الابتدائية[1].

لم تكتف فرنسا بتشييدها لتلك المدارس وتحريم تحدث الأطفال باللهجة الحسانية داخل أسوارها في ظل وجود مؤسسات دينية تعمل على مناهضتها ومشايخ يحرضون التلاميذ من عدم الانضمام إليها، فلذلك ابتدعت فرنسا إجراءات للوصول الى غرضها ومن بينها:

أ- فتح سجلات لمراقبة مشايخ المحاظر على أساس ثلاث خانات:

الخانة الأولى: تخص المشايخ الذين يجب مكافحتهم.

الخانة الثانية: تخص المشايخ الذين يجب الحذر منهم.

الخانة الثالثة: تخص المشايخ الذين لا خوف منهم.

ب- محاربة بناء المساجد والمدارس القرآنية

ت- تعيين قضاة الشريعة الإسلامية وتقليص مجال عمل المحاكم الشرعية الإسلامية[2].

ولقد باتت فرنسا تعمل على وضع خطط لاستئصال المحاضر مرورا بثلاث مراحل:

المرحلة الأول: كانت بداية تطبيقها مع دخول الاستعمار سنة 1903م، حيث لجآ الى الضغط والتضييق على المحاضر بتقنين أنظمتها، ووضعها تحت الرقابة والتهديد بغلقها، بحجة حفظ الأمن وتمكنوا بعد قيامهم بهذه الإجراءات التعسفية في سنة 1905م بإنشاء أول مدرسة فرنسية في كيهيدي في منطقة شماما على الضفة اليمنى لنهر السينغال، غير أن البيضان قاطعوها بإدخال الزنوج قسرا فيها.

المرحلة الثانية: عملت فرنسا على استخدام الإغراءات المادية، وذلك بمنح كل شيخ مكافأة شهرية تقدر ب300 فرنك بتدريس ساعتين في اليوم باللغة الفرنسية وذلك بمقتضى المرسوم الذي

[1] مُحَمَّد الراضي ولد صدفن: الاستعمار الفرنسي وآثاره في موريتانيا، ص 277.

[2] مُحَمَّد المحجوب ولد ابيه: المرجع السابق، ص255.

صدر بتاريخ 1906/06/12م، وكان رد أساتذة المحاظر بالرفض رغم حاجتهم الماسة لتلك المنحة[1].

المرحلة الثالثة: وبعد فشل خطط المراحل السابقة من إجراءات وإغراءات لنجاح سياستها التعليمية الفرنسية، والتي آلت إلى استخدام أسلوب معاكس تمثل في التنازل عن تعميم اللغة الفرنسية بتعليم مزدوج وذلك لإيجاد فرصة حوار مع البيضانيين، بحيث قامت بإبدال كلمة ecole بمدرسة كما فعلت في مدرسة سان لويس بالسينغال سنة 1908م لأبناء الشيوخ، وتم تأسيس مدرسة ببوتلميت سنة 1913، وكان الهدف من هذه المدارس هو تكوين رجال القضاء الشرعي وأعوان الإدارة واستقطاب الرعايا المسلمين عن طريق إحداث تعليم شبه أصيل مغربل بعيد عن عوامل العداء للاستعمار[2].

ولقد عرفت هذه المدارس بارتداء الزي العربي الإسلامي حتى لا ينفر منها الناس، وفي سنة 1922م قامت فرنسا باستقدام أساتذة جزائريين متشبعين بالثقافة الإسلامية بالإضافة إلى اللغة الفرنسية وذلك من أجل تسيير إدارات المدارس وكان النقلي الجنيدي أول مدير لمدرسة بوتلميت وتبعه بو العالم الرويس سنة1929م، ثم مصطفى بن موسى سنة 1938م، ثم أتى تفاحي مراد وكان الجزائريون الأربعة يتعاقبون على إدارة المدارس في موريتانيا، ولقد وجدت إقبالاً من طرف بعض العلماء للتدريس فيها، وبذلك قد عززت الثقة والاتصال بالسكان للقضاء على المقاومة المسلحة[3].

رغم كل الوسائل التي استخدمتها فرنسا من إجراءات ومراقبة وإيجاد وسائط من عملاء وإغراءات مادية ومعنوية لتحقيق السيطرة الثقافية على موريتانيا، إلا أنها لم تتمكن من ذلك في وجود حصن منيع من مشايخ ومحاضر وقفوا ضد كل سياسة تستهدف القضاء على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

2-التعليم المحضري بين التمسك بالثقافة المحلية ومواجهة الأفكار الفرنسية:

رغم أن فرنسا سعت منذ دخولها موريتانيا إلى إحداث كل ما من شأنه القضاء على العلم وكسر

[1] أبي علي بجيد بن الشيخ يربان القلقمي الإدريسي: المرجع السابق، ص61.

[2] عفاف عباس: المرجع السابق، ص86.

[3] عفاف عباس: نفسه، ص87.

شوكة أولئك المشايخ الذين سخروا أقلامهم للدفاع عن وطنهم، إلا أن هذا لم يؤثر في ذلك الشعب الذي جعل من القرآن سلاحه ومن ذكر رسول الله ﷺ مدفعا يقتل كل من هو عازم على مس قيمهم الإسلامية، لذا كانت المحضرة هي الحصن المتين الذي حاول الموريتانيون من خلاله حماية ثقافتهم والتمسك بها، ومنه سنشير في هذا العنصر إلى الدور الذي لعبته المحضرة في التمسك بالثقافة الإسلامية.

وليست هذه المعلومات التي ذكرنا سابقا عن ما تقدمه المحظرة من أجل ازدهار البلاد والقضاء على الجهل إلا نقطة من بحر، ولهذا سنسعى إلى التذكير بما فعلته هذه المحاضر لإيقاف فرنسا عند حدها عندما باشرت في تغيير السياسة التعليمية.

لقد قامت فرنسا في موريتانيا وخاصة على الصعيد الثقافي بفرض ثقافتها ونمطها التغريبي وخلقت النزعة العنصرية بين البيظان والسودان، مما أدى إلى نشوب صراعات بين أبناء البلد الواحد وذلك فيما يتعلق باللغة العربية والفرنسية وأيهما ستأخذ الريادة في البلد[1].

وقد تجسدت هذه الثقافة الفرنسية في إنشاء مدارس من أجل محاصرة موريتانيا ثقافياً وإبعادها عن طابعها الإسلامي العربي الذي يربطها بشقيقاتها، وحتى يتحقق لها ذلك عملت على مراقبتها والحد من نشاطها الديني وهذا عن طريق الوقوف في وجه المشايخ والدعاة والحجاج وعدم السماح لهم بتداول الصحف العربية التي لا تخضع لرقابتها، إلا أن هذا الأسلوب الذي تبعته فرنسا في موريتانيا قد زاد من تمسك الشعب بموروثه الثقافي وجعله يخوض المقاومة الثقافية بحماس ضدها وذلك من خلال عدم قبولهم بتلك المدارسة التي أقامتها فرنسا في بلدهم، ففي سنة 1935م طلب العلماء بتحويل مدرسة بتلميت إلى محضرة حقيقية وجعلها تنتهج منهج المحضرة وطرقها في التدريس بحيث أقام تلامذتها إضراباً في 30مارس 1936م، الذي انضم فيه الكثير من الطلبة من كل الولايات[2].

وعلى وضوء ذكر مدرسة بتلميت نشير إلى تجربة الرئيس السابق لموريتانيا في هذه المدرسة وهذا من خلال ما أورده بنفسه وهو المختار ولد داده، بحيث قال بأن والده عندما تم إنشاء هذه

[1] يحي أبو زكريا:موريتانيا المسلمة بين الإسلام والتغريب،(د.ط)،ناشري،(د.م)،2003م،ص11.

[2] محمد الراظي بن صدفن:السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا وآثارها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (1900-1969)، المرجع السابق،ص95.

المدرسة الفرنسية سعى إلى إلحاقه بها وكان له ذلك في ديسمبر 1934م خاصة عندما عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة العصرية والتي سماها الموريتانيون "مدرسة الكفار"، ولكن والده لقي معارضة كبيرة من طرف أمه وجدته وخالته في بادئ الأمر كما أن المختار نفسه كان رافضاً مواظبة الدراسة في هذه المدرسة حيث يذكر أنه كان يختبئ عند أخواله حتى لا يتمكن والده من العثور عليه وبعثه إلى مدرسة النصارى[1].

وفي خضم هذا الجو المشحون بالرفض لهذه المدرسة نجد أن هناك أصواتاً أخرى تعالت رافضة لنوع آخر من المدارس في أطار، هذه الأخيرة التي سعت الإدارة الفرنسية إلى جعلها مزدوجة التعليم إلا أن المشايخ في موريتانيا أبوا أن يكون التدريس باللغة الفرنسية وطالبوا أن يكون اختياريا ولا يستفيد منه إلا من أراد ذلك، وحتى تتمكن السلطة الفرنسية من إخماد نار المعارضة لها في المنطقة عملت على كسب ود السكان وذلك من خلال دعوة بعض علماء المنطقة إلى التدريس في المدرسة، ولكن هؤلاء العلماء أظهروا رفضهم لذلك وتماطلوا في الرد على ما أرادت، وهذا ما أكده أحد الحكام بدائرة آدرار وهو المدعو باشمان في رسالة بعثها إلى حاكم الأقاليم والتي يخبره من خلالها أن المدرسة في أطار تواجه صعوبات وأن الأساتذة الذين تم اختيارهم للقيام بمهمة التدريس فيها رفضوا ذلك بحيث أشار في نهاية هذه الرسالة أنه لا بد عليهم من بذل مجهود لإقناع البيظان[2].

وهكذا عبر المجتمع الموريتاني عن عدم قبوله للسياسة الاستعمارية التعليمية، التي سعت إلى إقناع السكان بها عن طريق اتخاذ المشايخ مدرسين فيها، ولكن هؤلاء المشايخ هم أيضاً رفضوا القبول بالتدريس في المدارس الفرنسية، وكذا الإغراءات المادية التي كانت تمنحها للمدرسين في المدارس الفرنسية.

وقد تواصل هذا الرفض لتلك المؤسسات التعليمية الفرنسية في المنطقة إما عن طريق مقاطعتها أو الهروب منها الأمر الذي جعل السلطات الاستعمارية تقوم بإصدار قرار في 23فبراير 1952م يرفع القيود عن تعليم العربية في المدارس الفرنسية، وقد لقيت هذه المدارس رفضا قاطعا

[1] المختار ولد دادة: موريتانيا رهان التحديات الكبرى. http://bibsanhdja.blogspot.com. 2019/05/19 ,14 :25

[2] الخليل النحوي:بلاد شنقيط المنارة والرباط،المرجع السابق،صص353-354.

حتى من بعض العلماء الذين استلوا أقلامهم وحرروا في فتواهم أنه من الحرام تعليم الصبيان في المدارس النصرانية وكان على رأس هؤلاء الشيخ والعالم المختار ولد أيلول(ت1978م)، الذي علل هذا التحريم بأن الطفل يولد على الفطرة، فلهذا وجب على أبويه أو معلميه حراسته وتعليمه كل ما يتعلق بالعقيدة كونه في حاجة ماسة إلى التنبيه وهو في هذه المرحلة بالذات، فهذا واجبهم ولو تركوا ما أوجب الله عليهم في حق أولادهم فإنهم سيجعلونهم عرضة لأهل البدع والأهواء[1].

لقد صدق الشيخ الجليل والعالم المختار ولد أيلول في كلامه، الآن فرنسا كانت ذكية عندما استقطبت هذه الفئة من المجتمع باعتبارها هي مشعل ومستقبل المجتمع الموريتاني،فالطفل في مرحلة التعلم يكون جاهزاً لاستقبال أي أفكار يتلقاها، فهو كالصفحة البيضاء يظهر عليه كل ما تعلمه في صغره، ومنه نجد أن لجوء فرنسا لمثل هذه السياسة ما هو إلا دليل على عجزها أمام الثقافة الموريتانية على الرغم من إحرازها لتفوق كبير عليهم في الجانب العسكري إلى غاية 1934م، فهذا الإحساس بالانهزام جعلها تسلك هذا النهج؛ وبحيث أخذت تتعامل بكل روية مع الشناقطة ريثما تجد الوقت المناسب الذي يجعلها تحرز نوعا من التقدم في المنطقة.

إن هذا الرفض للمدرسة الفرنسية من طرف الموريتانيين جعل العديد من الفرنسيين ينبهرون بهذه المؤسسة التعليمية البسيطة (المحضرة) التي ذاع صيتها في ربوع الأقطار العربية، حيث وصف أحد الرجال الفرنسيون والذي يدعى "دولس" لهذه المؤسسات البدوية الصحراوية قائلا: "إن البيضان يتخذون من خيامهم أكاديميات حقيقية وأن جميع هؤلاء البداة تقريبا يتعاطون كتابة العربية"[2]. فهو هنا يعترف بأن هؤلاء البدو يمتازون بنوع من الذكاء ليس له نظير في إفريقيا الشمالية، كما أن المستشرق ريني باسي أثناء حديثه عن المواطن الموريتاني تجده يضعه محل مقارنة بين ثقافته والثقافة في كل من تونس والجزائر، فهو يجزم حسب قوله أن هؤلاء البيظان البدو في شنقيط لهم ثقافة أدبية جد راقية وأفضل بكثير من الثقافة في الجزائر وتونس[3].

خلاصة الفصل الثالث: على ضوء ما تناولناه في دراستنا لهذا الفصل نصل إلى أن المحاضر في موريتانيا على الرغم من بساطة وسائلها التعليمية وكذا مرافقها البيداغوجية إلا أنها أنتجت من

[1] محمد الراظى بن صدفن:المرجع السابق،ص96.

[2] حسنة الغامدي وطارق لعجال:المرجع السابق، ص14.

[3] حسنة الغامدي وطارق لعجال: نفسه، ص 15.

العلوم والعلماء مالم تتمكن أن تخرجه أحدث الجامعات العصرية في وقتنا الراهن، وهذا كله راجع إلى تلك الصفات التي يتحلى بها الشناقطة عامة والتي تتمثل في مدى تمسكهم بموروثهم الثقافي خاصة في مجال طلب العلم والتفقه في الدين، ولكن الفضل في هذا الازدهار الذي وصلت إليه موريتانيا يعود إلى المشايخ أو المرابطين في تلك المحاضر الذين وفروا كل ما يملكونه من أجل نشر العلم في أصقاع موريتانيا، وكذا الوقوف في وجه السياسة الاستعمارية التي جاءت من أجل طمس معالم الدين الإسلامي في هذه المنطقة، بل واستطاعت المحاضر بما فيها أن تبقى شامخة بتعاليمها الدينية أمام الوجود الفرنسي وتبين له أن الفرد الموريتاني مهما كان بسيطا وبدوياً فإن سياسة فرنسا التعليمية وكل مبادئها لم تبهره كباقي شعوب الأخرى، فهي لم ترسخ في عقولهم وقلوبهم بقدر ما رسخ فيها القرآن الكريم والسنة النبوية.

الخاتمة

نرى لزاما علينا أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها في حدود ما استطعنا انجازه، والتي نوجزها فيما يلي:

- بعدماسيطرت فرنسا على بلدان شمال إفريقيا وغربها،سعت إلى ضم موريتانيا باعتبارها نقطة وصل بينها وبين مستعمراتها الأخرى.
- تعتبر البعثات الكشفية والرحلات هي بداية ظهور الأطماع الفرنسية في موريتانيا، بعدما كانت تنظر إليها على أنها ليست لها أهمية تستدعيها إلى احتلالها.
- يعد مشروع كوبولاني من أهم المشاريع التي جعلت فرنسا تدرك أهمية موريتانيا وضرورة السيطرة عليها، لتتمكن من إحكام قبضتها على مستعمراتها في المناطق المجاورة لها.
- اتخذ كوبولاني سياسة سلمية لتنفيذ مشروع احتلال موريتانيا، بإقامة علاقات ودية مع بعض المشايخ الكبار من بينهم الشيخ سعد بوه والشيخ سيديا عن طريق استخدامهم كواسطة لإقناع القبائل والأمراء بقبول دخول فرنسا الى بلادهم.
- عندما سيطرت فرنسا على موريتانيا أصبحت هذه الأخيرة أمام نازلة استعمارية التي تعتبر من أشد الوقائع التي حلت على المجتمع الموريتاني، مما جعل العلماء يجتهدون في سبيل إصدار فتاوى حولها.
- جراء هذه النازلة انقسم العلماء الموريتانيون بين مؤيد ومعارض لدخول الاستعمار الفرنسي إلى أراضيهم، بحيث نجدالشيخ سيديا بابا والشيخ سعد بوه قد اجتهدا في قضية دخول الاستعمار الفرنسي إلى أراضيهم فكانوا من المؤيدين له، وذلك اعتماداً على ما عاشته وتعيشه بلادهم من حالة سيبة وفوضى في ظل غياب سلطة حاكمة تنظم بلادهم،ومن جهة أخرى نجد الشيخ ماء العينيين والشيخ حماه الله قد عارضوا دخول المستعمر الأجنبي بلادهم، وبذلك رأيا ضرورة جهاد هؤلاء النصارى الذين اعتبروهم أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
- لقد خاض الشيخ ماء العينين جهاداً قويا ضد النصارى وذلك بدعم من الحكومة المركزية المغربية، وذلك نظرا لمكانته عند سلاطين المغرب.

- اتخذ الشيخ أحمد حماه الله التشيتي جهاداً بدون سلاح، فسعى إلى تقصير الصلاة ومقاطعة كل ماله علاقة بالنصارى.
- لقد عملت فرنسا للحد من مقاومة الشيخ ماء العينين والشيخ حماه الله غير أنها وجدت نفسها أمام مقاومات أخرى مثل مقاومة الهيبة بن ماء العينين ومربيه ربه بن ماء العينين.
- اتبعت فرنسا سياسة تعليمية في موريتانيا من أجل القضاء على الثقافة الإسلامية فيها وعملت على جعل اللغة الفرنسية هي أساس التعامل في المحاضر ومحو معالم اللغة العربية.
- لقد واجه سكان موريتانيا تلك السياسة التعليمية الفرنسية بالرفض، وذلك من خلال مقاطعة الدراسة في هذه المدارس الفرنسية، والمطالبة بإرجاع المحضرة إلى ما كانت عليه.
- حتى تتمكن فرنسا من تحقيق هذه السياسة عملت على تقديم إغراءات مادية لبعض مشايخ المحاضر، إلا أنهم رفضوا كل ما تمنحه لهم.
- لقد استطاعت المحاضر أن تقف شامخة في وجه كل ما سعت فرنسا إلى نشره داخل صفوفها التعليمية.
- إن مقاومة الشعب الموريتاني للسياسة التعليمية الفرنسية جعل فرنسا تتأكد من مدى تمسك هذا الشعب الموريتاني بالثقافة العربية الإسلامية.

لم تكن هذه الدراسة إلا محاولة لتوسيع مجال الدراسة في موضوع تاريخ موريتانيا المعاصر خاصة في فترة كان لها صداها وتأثيرها على حياة المجتمع الموريتاني الثقافية والدينية، راجين من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في مسعانا هذا الذي لم نقصد من ورائه إلا الإفادة والاستفادة، ولا نزعم لبحثنا الكمال، بل يبقى مجرد خطوة نتمنى أن تتبع بخطوات يستفيد منها الدارس في مجال هذا البحث–تاريخ موريتانيا المعاصر– ونرجو أن تهتم الجامعة بدراسة التاريخ الموريتاني كونه لا توجد دراسات مستفيضة حوله في مكتباتنا، بالإضافة الى توفير الكتب التي تتحدث عن هذا التاريخ العريق لتسهيل الدراسة على الطالب، وأيضا جعل علاقة تواصل وتبادل فكري بين جامعة أحمد دراية والجامعات الموريتانية المجاورة لنا القريبة منا وجغرافياً وحضارياً، وذلك حتى يتم نشر الثقافة الموريتانية والجزائرية في البلدين خاصة فيما يتعلق بالمخطوط الجزائري والموريتاني الذي لازال منه الكثير حبيس الخزائن ولم ينفض الغبار عنه.

الملاحق

الملحق رقم 01

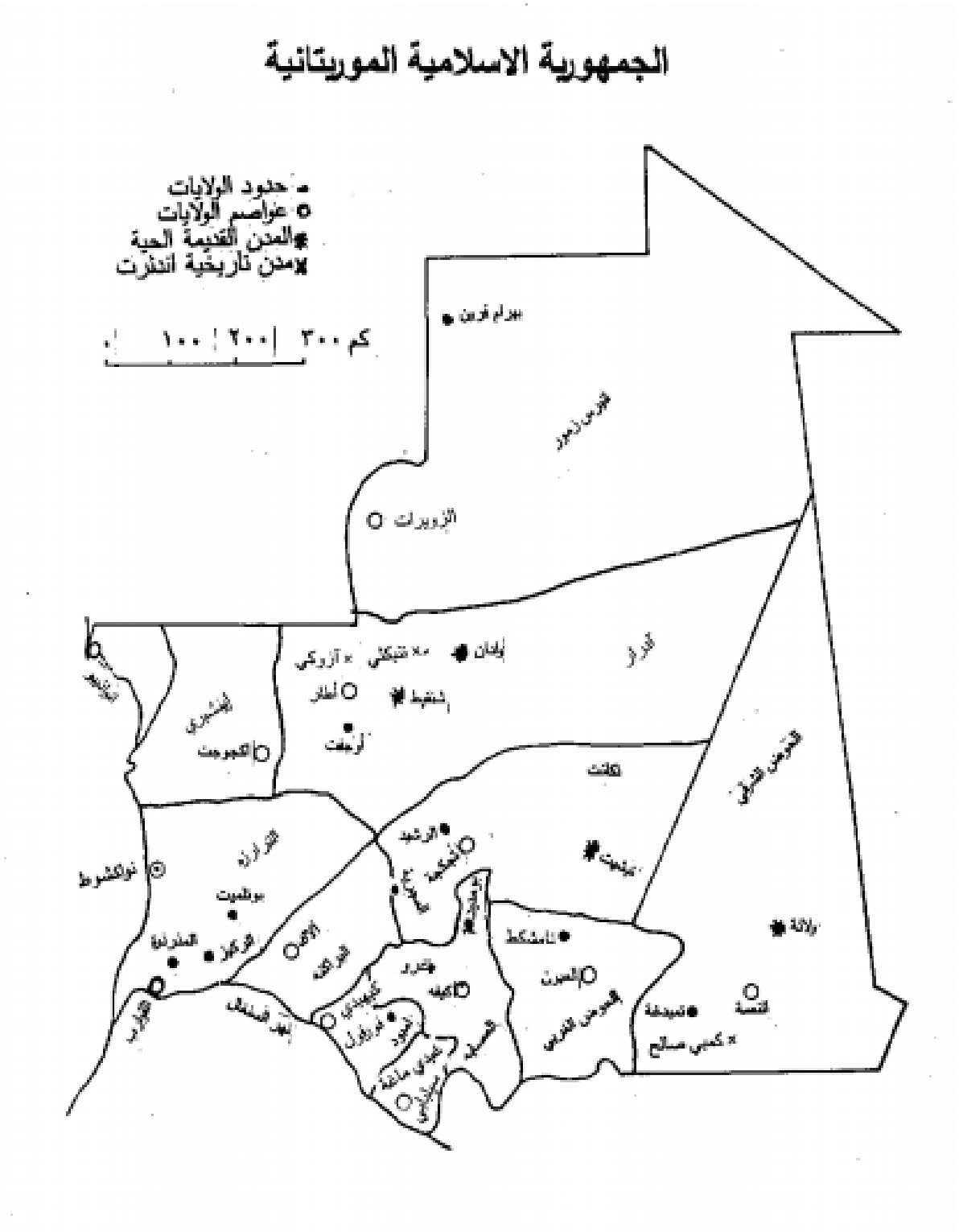

المرجع: الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنار وارباط، ص 27.

الملحق رقم 02

مخطوط رقم 01 السؤال الذي وجهه كوبولاني للشيخ سيديا

مخطوط رقم 02 الرسالة التي وجهها الشيخ سيديا إلى القبائل الموريتانية

والباب

مخطوط رقم 03 موافقة الشيخ سعد بوه على الرد الذي وجهه الشيخ سيديا لكبولاني

رقم 04 النصيحة العارمة والخاصة في التحذير من محاربة فرنصة

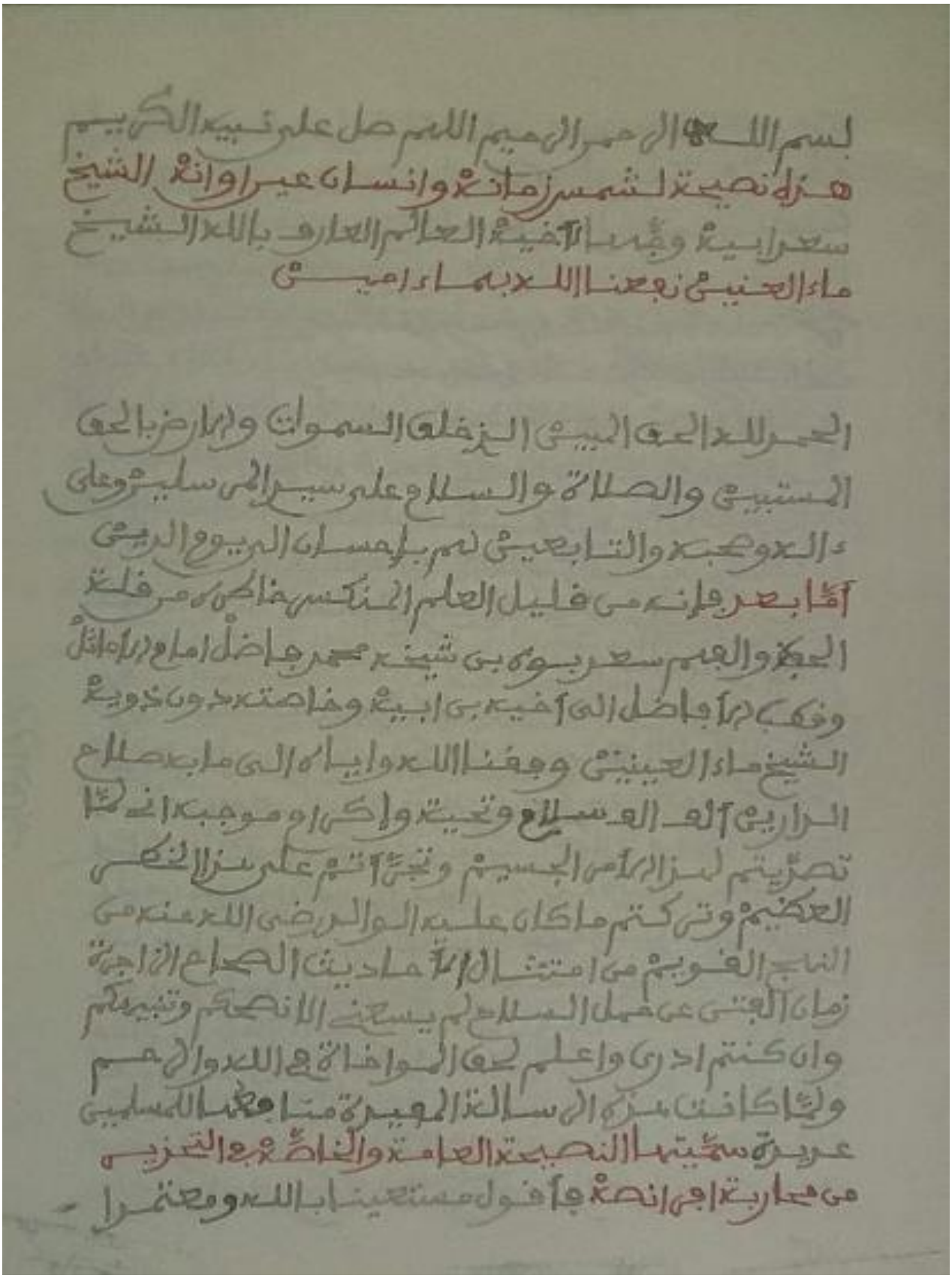

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على نبيك الكريم
هذه نصيحة لشمس زمانه وانسان عينه الشيخ
سعد ابية وقبسة آخيه العالم العارف بالله الشيخ
ماء العينين نفعنا الله بهما آمين

الحمد لله الحق المبين الذي خلق السموات والارض بالحق
المستبين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى
آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان الربيون الربيين
أما بعد فإنه من قليل العلم المنكسر خاطره من فلة
الجهل والعدم سعد بوصولي بي شيخ محمد حاضل امام زماننا
وفخر دهرنا حاضل الى آخيه بي ابيه وخاصته دون ذويه
الشيخ ماء العينين وفقنا الله وإياه الى ما يحب ويرضاه
الزاري ألف السلام وتحيته واكرام موجبه انه
تصريتم لسز الامر الجسيم وتجشمتم على سز الخطب
العظيم وتركتم ما كان عليه الوالد رضي الله عنه من
النهج القويم من امتثال أوامر احاديث الصحاح الزاجرة
زماننا العتي عن عمل السلاح لم يسعني الا نصحكم وتنبيهكم
وان كنتم ادرى واعلم لكن المواخاة في الله والرحم
ولما كانت سز الرسالة الوجيزة متاعظها المسلمين
عبرة سميتها النصيحة العامة والخاصة في التحذير
من محاربة الفرنصة افول مستعينا بالله ومتمرا -

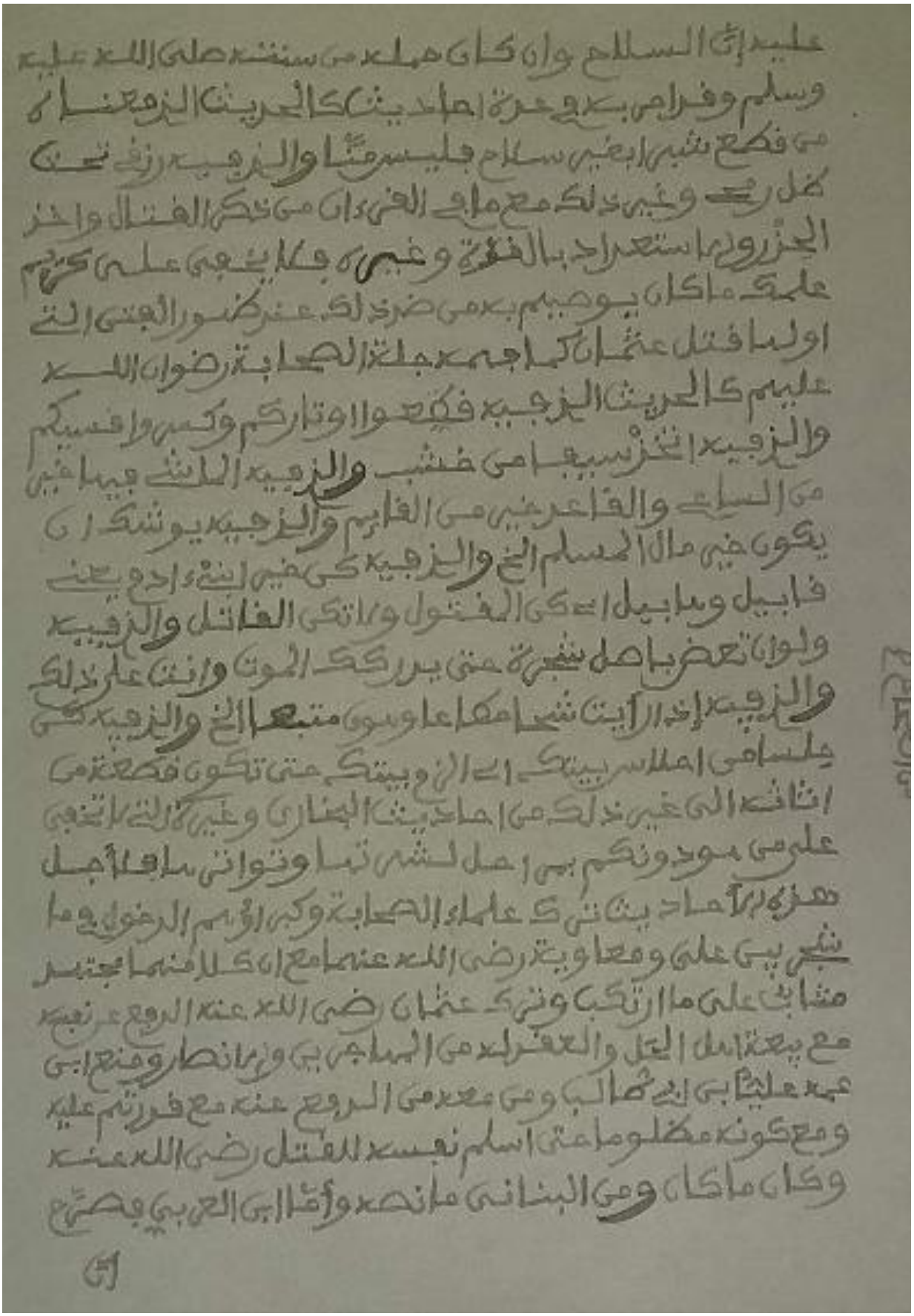

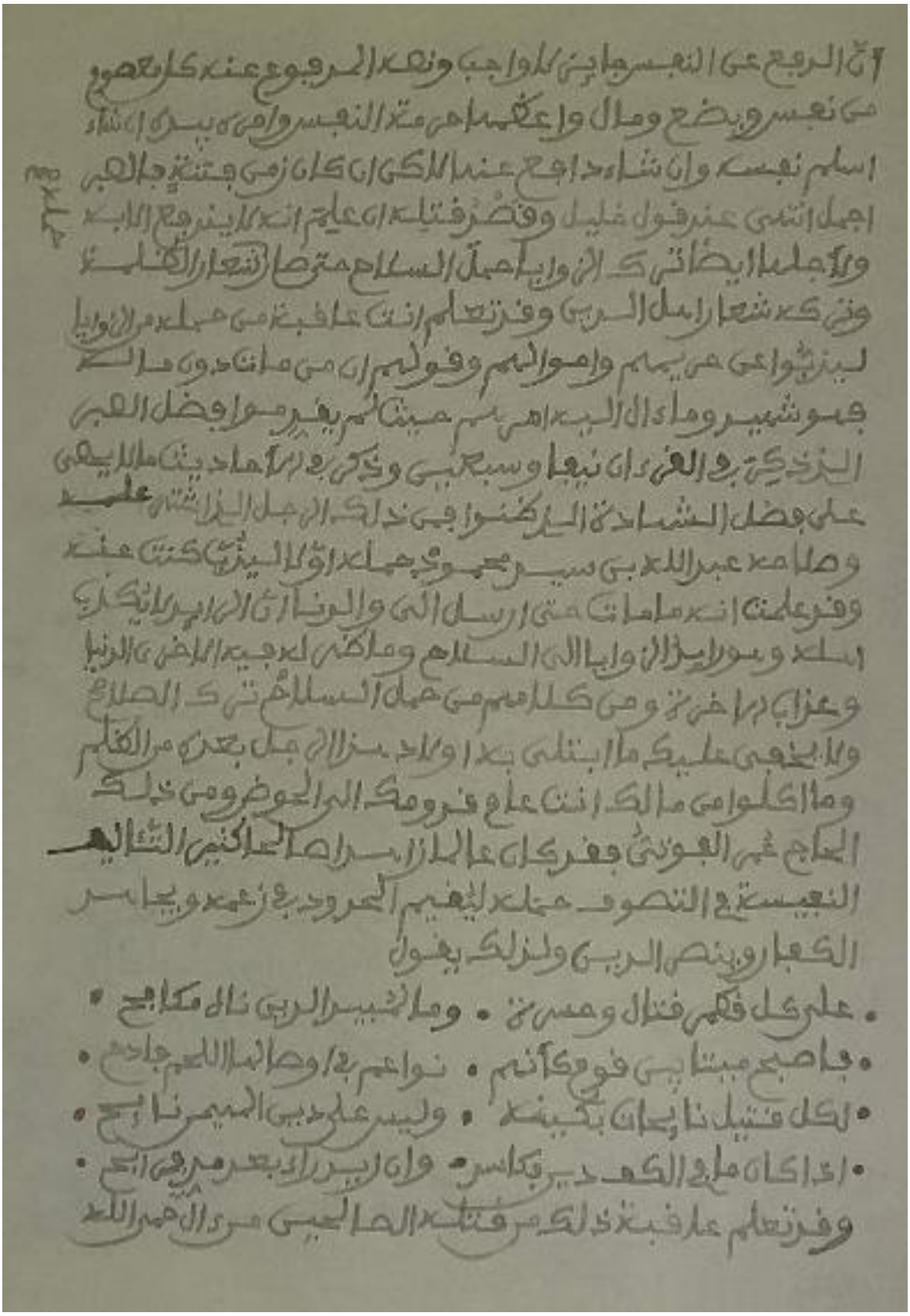

المصدر: مخطوط محفوظ في المعهد الموريتاني للبحث العلمي

الملحق رقم 05

صورة اكزافيه كوبلاني

المرجع: https://www.google.dz/search?safe

الملحق رقم 06

صورة للشيخ سعد بوه وأبنائه

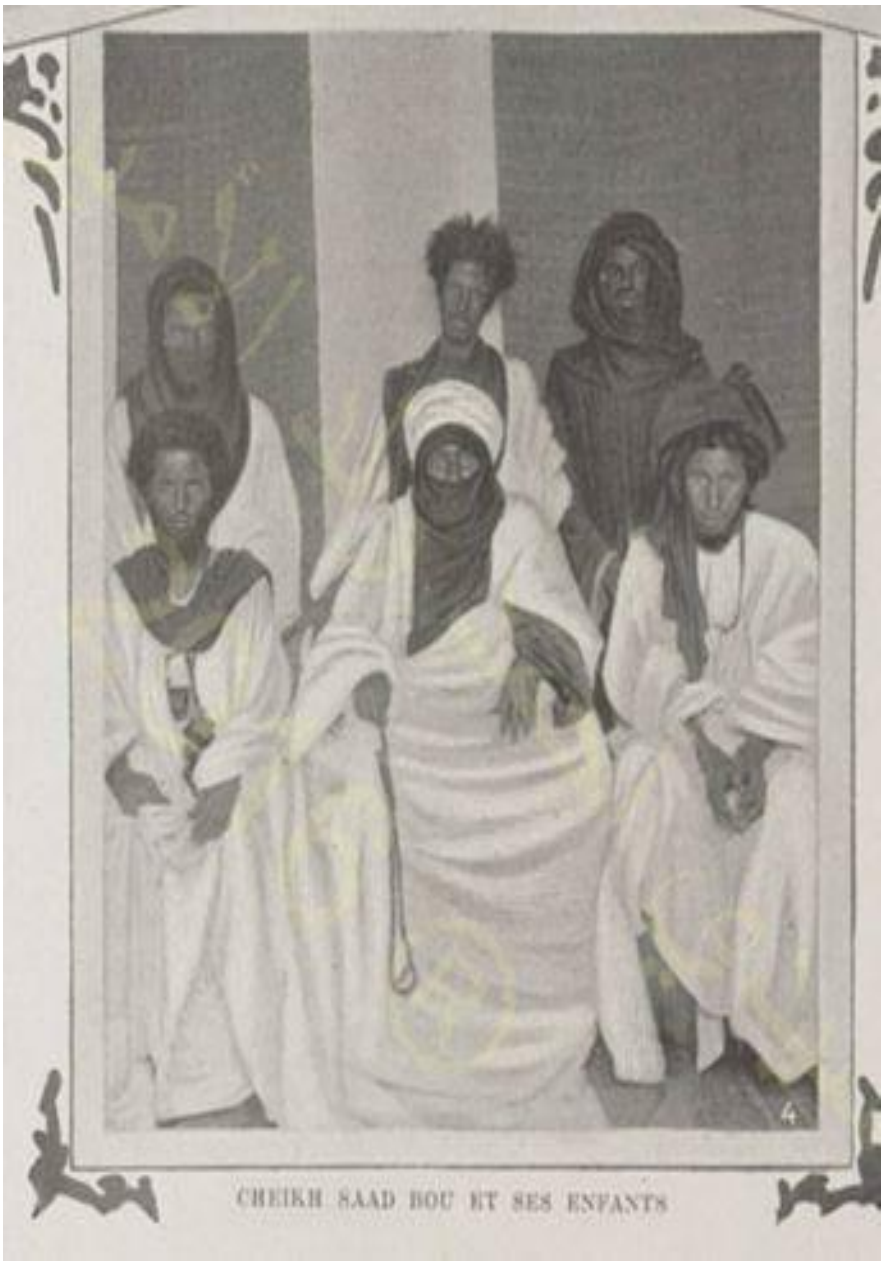

المرجع: https://www.google.dz/search?safe

الملحق رقم 07

صورة للشيخ ماء العينين (ت 1910م)

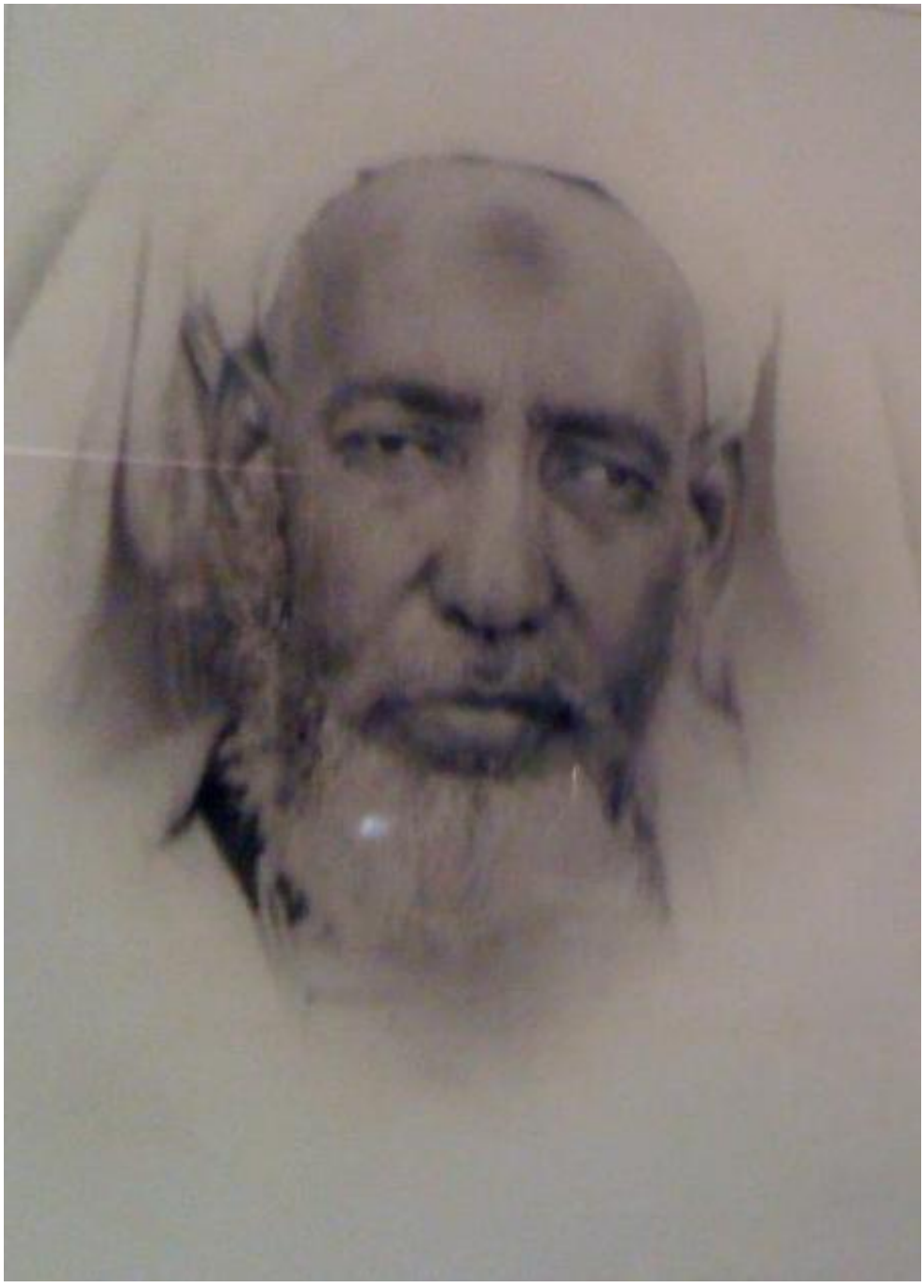

المرجع: https://www.google.dz/search?q

الملحق رقم 08

صورة للشيخ حماه الله التيشيتي

المرجع: https://www.google.dz/search?safe

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: المخطوطات:

1.الشيخ سعد بوه(1335هـ): النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة أفرانصة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، مخطوط، رقم النسخة: 3513، نواكشوط، د.س.

2.الشيخ سيديا بابا(ت:1924):رسالة الشيخ سيديا إلى القبائل الموريتانيا، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي نواكشوط، رقم النسخة 470.

3.الشيخ سيديا بابا(ت:1924): السؤال الذي طرحه كوبولاني على الشيخ سيديا ورد هذا الأخير عليه، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي،رقم 470، نواكشوط، (د.ت).

ثانياً: المصادر:

1-أفريجان رائد: موريتانيا 1903-1911م قصصمغامرات وجولات وحروب في بلاد البيضان، تع: جنفييف ديزيري فييمن، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

2-جليه رائد: كتاب التوغل في موريتانيا، تح: محمذن ولد حمين، دار الضياء، الكويت، 2009.

3-ولد حامد المختار: حياة موريتانيا –الجغرافيا-، (د-ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ-1994م.

4-بن خلدون عبد الرحمان:تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ج.6، دار الفكر، 2000.

5-الشنقيطي أحمدالأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط1، د.ن، د.م، 1339هـ.

ثالثاً: المراجع:

ا-الكتب:

1. ولد أباه مُحَّد المختار: الشعر الشعراء في موريتانيا، ط2، دار الأمان، 1424هـ-2003م.
2. بنت البراء (باته)مباركة: الشعر الموريتاني الحديث من1970إلى1995م دراسة نقدية تحليلية، (د.ط)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م،
3. ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، ط1، المكتبة الوطنية، الشريف مولاي الحسن بن المختار بن الحسن، نواكشوط، 2009.

4. بوعزيزيحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين ويليه الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وأسيا وجزر المحيطات، طبقة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

5. ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين: دليل الرفاق على شمس الاتفاق، تح: اليلعمشي احمد يكن، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطابع، فضالة، المحمدية، 1982، ج1.

6. مُحَمَّد المحجوب ولد بيه: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، انواكشوط، 2016م.

7. التيجاني مُحَمَّد الحافظ: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، الزاوية التيجانية والدالى حسين المغربلين، مصر، (د.ت).

8. الجيزاني مُحَمَّد بن الحسين: فقه النوازل "دراسة تأصيلية تطبيقية"، مج1، ط2، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1467هـ/2006م.

9. ولد الحطاب مُحَمَّد الفاضل: الفاضلية والشيخ سعد ابيه على ضفتي النهر، مجلة مخبر الدراسات والبحوث التاريخية مصادر (كراسات التاريخ الموريتاني)، الكراس الرابع، نواكشوط، 2004م.

10. بن حامد المختار: حياة موريتانيا حوادث السنين أربعة قرون موريتانيا وجوارها، تق و تح: د سيدي أحمد بن أحمد سالم، د.ن، د.م، د.ت.

11. حلاق حسان: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2000م.

12. بن حمادي مُحَمَّد الأمين: موريتانيا خلال القرن التاسع عشر 1785-1908م در.تح: لكتاب منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور لمؤلفه أبي بكر بن أحمد المصطفى (ت: 1335هـ/1917م)، ENS éditions vecmas، د.م، 2011م.

13. حوتيةمُحَمَّد الصالح: توات والازواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18م-19م)، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

14. دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ-515هـ-1038م-1121م: مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.

15. دوفور غاستون: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17-1920، تح وتع: مُحَمَّد المختار ولد بيئة،ط1، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، انواكشوط.
16. ذهني الهام مُحَمَّد علي: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1408هـ-1988م.
17. أبو زكريا يحي:موريتانيا المسلمة بين الإسلام والتغريب،(د.ط)،ناشري،(د.م)،2003م.
18. زاهر رياض: استعمار افريقية، الدار القومية للطاعة والنشر، القاهرة، د.م، 1384هـ-1965م.
19. الزهيري قاسم: مذكرات دبلوماسية عن العلاقات المغربية – الموريتانيا، تق، عبد الهادي التازي، دار الهلال العربية للطباعة و النشر، الرباط، 1991م.
20. ولد السالم حماه الله: جمهورية الرمال حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
21. ولد سالم حماه الله: تاريخ بلاد شنكيط "موريتانيا" من العصور القديمة الى حرب شربة الكبرى بين أولاد الناصر ودولة ايدوكل، اللمتونيةدار الكتب العلمية، لبنان، (د-ت).
22. ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا: العناصر الأساسية، منشورات الزمن، ع9، دار البيضاء.
23. سيدنا علي ولد مومن ولد مولاي إسماعيل: المقاومة الفكرية والثقافة في الساحل الإفريقي: الشيخ أحمد حماه الله "نموذجا"، د.ن، د.م، د.ت.
24. سيديا بابه ولد الشيخ سيدي: إمارتا إدوعيش ومشظوف: دراسة في التاريخ السياسي الموريتاني، تح: ازيد بيه بن مُحَمَّد محمود، ط2، المعهد التربوي الوطني شركة الكتب الإسلامية، نواكشوط، 1415هـ-1994م.
25. شاكر محمود: التاريخ الإسلامي - 14- التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
26. مُحَمَّد الراظي بن صدفن: السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا وأثارها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (1900-1969)، المطبعة الوطنية، بيروت، 1401هـ/1981م.
27. صقر جوزيف: قصة وتاريخ الحضارات العربية (23-24) بين الأمس واليوم(القبائل العربية-موريتانيا-جيبوتي،الصومال)،eiditee creb international, begrouth،1999-1998م.

28. عبدا لله عبد الرزاق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، (د.ط)، مكتب مدبولي، القاهرة،1 محرم 1410هـ/ 1 أوت 1989م.
29. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998.
30. العبودي مُحَّد بن ناصر:إطلالة على موريتانيا، ط1، (د.ن)، (د.م)، 1417هـ-1997م.
31. الغامدي حسنة، طارق لعجال: التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط، دراسات في التاريخ والمناهج، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة،ع5، جامعة الشهيد حمد لخضر، الوادي، ماي2010.
32. الفاعوري إبراهيم: تاريخ الوطن العربي، ط1، دار الخامد، عمان، 2011.
33. مجموعة من المؤلفين: الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تق: اليزيد الراضي، تن: النعمة علي ماء العينين، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ/2001م.
34. مجموعة من المؤلفين: من أبرز علماء شنقيط، التعريف ب212عالما، مديرية الثقافة والفنون، ، د.ن، موريتانيا، 2013،ج1، ج2، ج3.
35. مُحَّد بن سيدي مُحَّد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط: رسالة علمية تناولت المفسرين الشنقيطين وتفاسيرهم خلال مايربو على اربعة قرون،ط1، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك، (د.م.ن)، 1429هـ/2008م.
36. مُحَّدن أمين مُحَّدو: المحاضر الموريتانية مؤسسات لنقل المعارف، كراسك، مركز الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2016م.
37. ولد مُحَّدو وأحمد سالم وآخرون: تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال، طبع بالتعاون مع المدرسة القومية للإدارة، تونس،1997م.
38. بن محنضالحسين: تاريخ موريتانيا الحديث، ط1، دار الفكر، موريتانيا، 2010.
39. مقلد مُحَّد يوسف: موريتانيا الحديثة أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د-ت).
40. النحوي الخليل: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، ط1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993.

41. الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة ورباط، د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،تونس، 1987م.

42. أحمد ولد هارون ولد الشيخ سيدي: الشيخ سيدي "الموروث الثقافي والأدبي"، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

43. ياغي إسماعيل احمد ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر قارة افريقية، ج 2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1413هـ/1993م.

ب–الموسوعاتوالأطالس:

1.مجموعة من المؤلفين:الموسوعة العربية العالمية، ط2، المكتبة–ميونيخ،اتفاقية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م.

2.محمود فؤادي إبراهيم وآخرون: المعرفة أكمل و أجمل موسوعة علمية بالألوان، ط4، مؤسسة الخليفة للطباعة، لبنان، 1984م.

3.قطشالهادي: أطلس الجزائر والعالم طبيعيا–بشريا–اقتصاديا–سياسيا، ط.ج.م.م.ن،دار الهدى،عين مليلة، الجزائر، 2009م.

ب–المجالات:

1.مُحَمَّد الراضي ولد صدفن:"الاستعمار الفرنسي وأثاره في موريتانيا"، عصور الجريدة، العدد11–12، خريف–شتاء(فبراير) 1434هـ/2014/2013م.

ت–الرسائل الجامعية:

2.بدوي علي، سالمان علي: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا(1930–1960)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إ.ش.عبد الرزاق إبراهيم، معهد البحوث بهلول عبد الخالق، سامية عيدودي: الحركة التحررية في موريتانيا (1903–1960)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إ.ش: خليدة بليدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسه، 2017/2016م.

3.بوعلام حليمة، برقوق فتيحة:دور الشيخ ماء العينين في مواجهة الاستعمار الفرنسي في منطقة جنوب موريتانيا خلال القرن 19م من 1900إلى 1916م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في

تخصص دراسات إفريقية، إ.ش:حبيش،جامعة الجيلالي بونعامة،خميس مليانة،2014-2015م.
4.عباس عفاف: الاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903-1960، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إ.ش: شهر زاد شلبي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قطب شتمة، جامعة مُحَمَّد خيضربسكرة، تخصص تاريخ معاصر،2014م/2015م.
5.ولد مُحَمَّد المختار: الطرق الصوفية في موريتانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،إ.ش: بن يوسف التلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة، الجزائر،2011/2010م.

ج- المصادر الأجنبية:

1.Mohamed Said Ould Hamody: Mauritanie (1445/1975) relations séculaires avec l'Europe, 5 mars 2003.
2.Nacer-Eddine: chroniques de la Mauritanie sénégalaise, tr: Ismaël Hamet Bibliothèque nationale de France, paris,1911.

د-المواقع الالكترونية:

1.ولدأباه مُحَمَّد المختار: الشعر الشعراء في موريتانيا،ط2،دار الأمان،1424هـ-2003م،ص29 سيد أحمد ولد الدالي:شنقيط وإسهاماتها في الإشعاع الروحي والثقافي في المناطق المحيطة بها، مجلةالتنوير:
www.almeshkat.net/books/archive/books/chnkit55-PDF 11: 41;2019/04/17 .
2. ولد أبوهالداي:ظاهرة المحاظر ودورها الإشعاعي والثقافي في موريتانيا(محاضر وسط وشمال تكانت نموذجا)،ندوة المجاهد مُحَمَّد المختار ولد حامد المقاومة في الرشيد، يومي: 2013/80/17/16م، الرشيد لترقية والتعليم والتراث والتعليموالسياحة، .2015/01/10م
https://www.facbook.com ;2019/04/17 ;12 :12.
3. ولد دادة المختار: موريتانيا رهان التحديات الكبرى.
http://bibsanhdja.blogspot.com. 2019/05/19 ,14 :25

4. الغامدي حسنة ، طارق لعجال: التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط، دراسات في التاريخ والمناهج، مجلة المعارف للبحوثوالدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، ع5، جامعة الشهيد حمد لخضر، الوادي، ماي2010

5. **معجم المعاني عربي عربي،**

ar-ar≤ dict≤ https//www.almaany.com,2019/06/03,21 :50

فهرس
الأعلام
والأماكن

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحات
أبي بكر الطرطوشي	.24
أحمد السالم	.22
بلانشي	.33-19
بوالمقداد	.33-27-18
بينين لاباد	.18
جاسبار موليان	14
الحسن الأول	.37
ديلكاسي	.21
ريني كابيه	14
سيدعلي ولد مولاي الزين	.23
سيدي مُحَمَّد	.37
الشيخ المجتبي	.37
الشيخ حسنة	.22
الشيخ حماه الله	.48-47-46-44-43-42-36
الشيخ سعد بوه(ابيه)	.35-34-33-32-31-21
الشيخ سيدي بابا	.35-31-30-29-28-27-22-17
الشيخ ماء العينين	.48-42-41-40-39-38-37-36-34
الشيخ مُحَمَّد فاضل	.32
عبد الرحمان	.27
عبد الله بن ياسين الجزولي	.37
عثمان رضي الله عنه	.35
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	.35

عمر الفوتي التكروري	.17
الفونسوا الخامس	13
فيدهرب	.28-18-17-16-15-14
فينسان	.18
كوبولاني	.29-25-24-23-22-21-20-19-18
لامبير	.18
مابا	.17
مُحَمَّد الحبيب	.16-15
مُحَمَّد فال	.22
مولاي عبد العزيز	.37
ولد أسويد أحمد	.60-22

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
آدرار	9، 13، 18، 23، 33، 37، 41، 53.
آدغاغ	13.
إسبانيا	80، 21.
أطار	9، 13، 37.
أظهر	9.
أفطوط	9، 23.
أمريكا الشمالية	15.
البرتغال	13، 14، 15.
بريطانيا	21.
بلاد التكرور	12، 13.
تشيت	20، 53.
تكانت	23، 40.
تيمبوكتوا	16، 23.
الجزائر	8- 47.
السودان	18، 20، 43.
السينغال	8- 10-14- 15-16- 22- 32-59.
شنقيط	9، 11، 19، 37، 41، 43، 53.
الصحراء الغربية	8.
غامبيا	16.
غرب إفريقيا	8-12- 13-15-18- 20-21.
فرنسا	8، 12، 13، 14، 15، 18، 21، 30، 34، 41، 43، 45،

	47- 48-50- 60.
الكبلة	9.
مالي	8- 43.
مصر	48.
المغرب	8-10.
موريتانيا	08-9- 10-11- 12-13-14-15-18-19-20-21- 22-23-24-26-27-28- 29- 32- 33- 34- 35- 38- 39- 40- 41- 42- 43- 46- 50- 53.
النيجر	13.
هولندا	08.
ودان	14.
ولاتة	43، 53.

فهرس
المحتويات

فهرسالمحتويات

الصفحة

الإهداء

تحية شكر وتقدير

قائمة المختصرات

المقدمة: .....أ . و

الفصل الأول: الأطماع الفرنسية في موريتانيا

تمهيد:..... 8

المبحث الأول: لمحة عن موريتانيا..... 8

1-الموقع الجغرافي و الطبيعي لموريتانيا..... 8

2- أصل تسمية موريتانيا..... 10

المبحث الثاني: التوغل الفرنسي في موريتانيا.....12

1-خلفيات الاحتلال الفرنسي لموريتانيا..... 12

2-مشروع كوبولاني واحتلال موريتانيا..... 18

خلاصة الفصل.....23

الفصل الثاني: نازلة الاستعمار وموقف بعض الموريتانيين منها

تمهيد:..... 25

1-مفهوم النازلة أو النوازل..... 25

المبحث الأول: العلماء المؤيدون للتواجد الفرنسي في موريتانيا.....26

1-الشيخ سيدي بابا وموقفه من نازلة الإستعمار.....26

أ-نبذة عن حياة الشيخ سيديا بابا.....26

ب-موقفه من نازلة الإستعمار.....27

2-الشيخ سعد بوه (أبيه) وموقفه من نازلة الإستعمار.....30

أ-نبذة عن حياة الشيخ سعد بوه.....30

ب-موقفه من نازلة الإستعمار.....31

المبحث الثاني: العلماء المناهضون للتواجد الفرنسي في موريتانيا.....34
1-الشيخ ماء العينين و موقفه من نازلة الإستعمار.....36
أ-نبذة عن حياة الشيخ ماء العينين.....36
ب-موقف من نازلة الإستعمار.....37
2-الشيخ حماه الله التيشيتي وموقفه من نازلة الإستعمار..... 41
أ-نبذة عن حياة الشيخ حماه الله التيشيتي..... 41
ب-موقفه من نازلة الإستعمار..... 43
خلاصة الفصل.....47

الفصل الثالث:المحاضر ودورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي

تمهيد:.....50
المبحث الأول:المحاضر الموريتانية قبيل دخول الإستعمار.....50
1-مفهوم المحضرة ونشأتها.....50
أ-مفهوم المحضرة.....50
ب-نشأة المحضرة.....52
2-الشيخ ودوره في المحضرة.....54
المبحث الثاني:المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي من خلال المحضرة.....56
1-السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا..... 56
2-التعليم المحضري بين التمسك بالثقافة المحلية و مواجهة الأفكار الفرنسية.....59
خلاصة الفصل.....62
الخاتمة.....65
الملاحق.....68
قائمة المصادر والمراجع 82
فهرس الأعلام 93
فهرس الأماكن 95
فهرس الموضوعات.....98

الكلمات المفتاحية: موريتانيا، شنقيط، الإستعمار الفرنسي، العلماء، المحاضر، المدارس الفرنسية.

الملخص بالغة العربية: تعتبر موريتانيا إحدى المدن الإسلامية الواقعة في الركن الغربي من الوطن العربي، والتي عرفت بفضل هذا الموقع مناخا طبيعياً متنوع ومتباين من منطقة الى أخرى، وموريتانيا قديما كانت تعرف بعدة أسماء منها بلاد التكرور، بلاد الملثمين، بلاد صنهاجة، وبلاد شنقيط لتُعرف باسم موريتانيا الحالي الذي أطلقه عليها الاستعمار الفرنسي عند احتلاله للمنطقة، والذي سعى الى تحقيق أطماعه فيها عن طريق إرسال العديد من الرحالة والمستكشفين، الذين قدموا دراسات مفصلة عن المنطقة وهذه الدراسات سيعتمد عليها منظر الحملة الفرنسية اكزافيه كوبولاني ليسيطر على المنطقة سنة 1903م، وقد عمل على استمالة كل من الشيخ سيديا والشيخ سعد بوه اللذان أفتيا بضرورة التعامل مع فرنسا، لكنه لقي معارضة كبيرة من طرف بعض العلماء الذين كان على رأسهم، الشيخ ماء العينين الذي خاض جهاد قوي ضد السلطات الاستعمارية، بالإضافة الى الشيخ حماه الله التيشيتي الذي أعلن هو الأخر الجهاد و أوجب تقصير الصلاة مدة سنتين بسبب عدم ثقته بفرنسا، والتي عملت على فرض السياسة التعليمية فرنسية، تهدف الى طمس معالم اللغة العربية و الإسلام في موريتانيا، إلا أن المشايخ لعبوا من خلال المحاضر دورا كبير في مواجهة هذه السياسة التعليمية الفرنسية، وكان ذلك عن طريق مقاطعتها ورفضها وإعلان إضرابات في بعض المناطق مثل أطار و بوتلميت وسيتواصل الرفض لفرنسا وسياستها الى غاية 1960م وتنال موريتانيا استقلالها.

Les mots clés : Mauritanie -chan kit - la colonisation française-les savons-les écoles coraniques- les écoles françaises.

Le résumé : La Mauritanie est l'un des pays musulmans qui se situe au coin ouest du monde arabe, grâce à sa position géographique elle a un climat naturel divers d'une région à une autre.

-au passé, la Mauritanie est connue sous nombreux noms : bilad attakrour, pays voilés, senhadja,bilad chankit.aprés, elle est connue sous le nome de Mauritanie à l 'epoque de colonisation française qui s'intrérassait à réaliser ses convoitises dans la région par l'envoi des nombreux explorateurs qui ont présenté des études bien précisées et qui sont exploité os par Xavier eopolani en 1903.

Xavier eopolani a réussi à capter les deux savons « cheikh sidia et cheikh Saad bouh » qui ont appelé à la nécessité du traitement avec la France, mais ce projet a été opposé par certains savants mauritaniens comme cheikh màa alàaynin et cheikh hamaho Allah Atchit qui ont fait un appel au djihad contre les aut ovinés françaises qui ont ravisé à supprimer la langue arabe et l'islam dans ce pays d'après leur politique éducative.

En revanche, afin de lutter contre cette politique éducative française, les savonts et grâce aux écoles coraniques islamiques ont joué un rôle majeur, ainsei, ils ont déclare :

-l'interdiction de l'apprentissage dans ces écoles.

-la grève dans cétanes régions comme : Attar et boute mit.

Le refus de la colonisation est continu jusqu'à l'indépendance du pays en1960.